وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـة يحيى فـارس بالمديـة
كليـة الآداب واللـغات
قسـم اللـغة والأدب الـعربـي

صورة الأم وأساطير الخصب والنماء في رواية "الأم" لمكسيم غوركي

مذكرة تخرج مقدّمة لنيل شهادة ماستر في اللّغة والأدب العربي

تخصّص: أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:
_نهاد العمري
_ماريا عيسو

إشراف الدكتورة:
_عائشة العشمي

أعضاء لجنة المناقشة:	
أ.د سليم حيولة	رئيسا
د فؤاد بن أحمد نورين	مناقشا
د عائشة العشمي	مشرفا

السنة الجامعية: 2024/2023


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :"من لم يشكر الناس، لم يشكر الله عزّوجل".

نحمد الله تعالى حمدا كثيرا طيبا مباركا ملئ السماوات و الأرض على ما أكرمنا به من علم، والذي وفقنا في إتمام هذه الدراسة التي نرجو أن تنال رضاه.

ثم نتقدم بجزيل الشكر إلى الدكتورة "**العشمي عائشة**" على كلّ ما قدمته لنا من توجيهات و نصائح ومعلومات قيمة ساهمت في إثراء موضوع دراستنا في جوانبها المختلفة.

كما نتقدم بالشكر الجزيل لأعضاء اللجنة المناقشة الذين حمّلناهم عناء مراجعة هذا البحث.

وكلّ التقدير والاحترام لجميع أساتذة كليّة الآداب واللغات بجامعة يحيى فارس _المدية_ الذين كانوا لنا المعلم والمرشد في مشوارنا الدراسي، وكذا الطاقم الجامعي الذي حرص على توفير كلّ ما يحتاجه الطالب، شكرا.

إهداء

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

أُهدي ثمرة جهدي هذا إلى المؤمن الحق الذي وفّقه الله وهداه فسار على

درب الواصلين وهمه أن يصل وغايته أن يفوز.

إلى من قال فيهما اللّه عزّ وجلّ " وقل ربّ ارحمهما كما ربياني صغيرا "

وقارن طاعته بطاعتهما أمي قرّة عيني وأبي سر سعادتي حفظهما الله

وأدام عليهما الصحة والعافية.

إلى أعزائي وبهجة البيت إخوتي عادل و عبد الحق.

و إلى كلّ من جمعني بهم المشوار الدراسي من أساتذة وطلبة .

نهاد العمري

إهداء

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

أهدي تخرجي هذا

إلى من جعل الله الجنة تحت أقدامها وسُهّلت لي الشدائد بدعائها

إلى الإنسانة العظيمة أمي

إلى من كلّله الله بالهيبة والوقار، إلى من علّمني العطاء دون انتظار

إلى من أحمل اِسمه بكلّ اِفتخار أبي الغالي

إلى إخوتي الغاليين

لكلّ من كان عونا وسندا في هذا الطريق للأصدقاء الأوفياء ورفقاء

السنين.

عيسو ماريا

مقدّمة

مقدمة:

منذ أن وطأت قدما الإنسان وجه الأرض وهو معرّض في حياته للعديد من الظواهر والأحداث الغريبة العجيبة، في البداية لم تكن ملكاته العقليّة تسمح له بإيجاد تفسيرات وتوضيحات لتلك الظواهر، فراحَ يبحث عن عوامل جديدة وتفسيرات متداخلة ينسبها إلى أساطير وحكايات خرافية مرجعا ذلك في بنائه لها إلى آلهة مختلفة تارة ومخلوقات عجيبة تارة أخرى، مفرزا إياها من محض خياله محاولا بذلك القضاء على فضوله، باحثا عن تفسيرات تلبّي حاجته الجامحة للمعرفة، ومن هنا كانت بداية ما يسمى بالأسطورة.

وتُعد أساطير الخصب والنماء من أقدم وأهم الأساطير التي برزت في مختلف الحضارات والثقافات عبر التاريخ، فهي تعكس العلاقة العميقة بين الإنسان والطبيعة، وتجسّد رغبة الإنسان الدائمة في فهم دورة الحياة والموت، وضمان استمراريّة الحياة على وجه الأرض، حيث تشكّل اِمتدادا طبيعيّا للملاحم، فقد اِشتركت في العديد من السمات والمبادئ الأساسية حول الطبيعة الدوريّة للحياة والصراع بين الخير والشر.

تعتبر أساطير الخصب والنماء إحدى الظواهر الفنيّة التي يلجأ إليها المفكرون والدارسون والفلاسفة وخاصة الأدباء، فراحوا ينكبّون على دراستها وربطها بالأدب، فكلاهما(الأساطير/الأدب) ينبعان من ذات المصدر ألا وهو العقل الإنساني وخياله.

ومن أهم الفنون الأدبية التي ركّز عليها الأدباء هو فن الرواية، الذي نجده هو الآخر يخدم الأسطورة، فالروائي يرى أن الإِعتماد على الأساطير في عمله يمكّنه من توضيح وإبراز القضايا التي تهمّ الإنسان بمختلف أنواعها وإيصالها للقارئ بسهولة، وكذلك تمنحه بعدا جماليّا يمتّع كلّ مطّلعٍ على هذا العمل الروائي .

والدارس للرواية الروسيّة الحديثة يجدها غنيّة بأساطير الخصب والنماء، التي لا مفرّ للكاتب الروسي منها، لتبيان حال الشعب وواقعه المعاش بكلّ تناقضاته، و من بين هؤلاء الأدباء نجد "مكسيم غوركي" الذي كتب معظم رواياته في قالب أسطوري بطريقة جميلة وجذّابة، كاشفا عن أفكاره ورؤياه، وهذا ما تجسّد في روايته "**الأم**" لمكسيم غوركي.

ومن هذا المنطلق وقع اِختيارنا على موضوع "**صورة الأم وأساطير الخصب والنماء في رواية الأم لمكسيم غوركي**"، حاولنا فيه الكشف عن تجليّات أساطير الخصب والنماء في رواية "الأم" "لمكسيم غوركي" ومعرفة الرسالة التي أراد إيصالها لقراء الرواية، وكذا إبراز صورة الأم من منظور أساطير الخصب والنماء.

من الأسباب التي دفعتنا لِاختيار هذا الموضوع، الميل إلى دراسة الرواية الروسية التي تُعدّ جزءًا هامًا من تاريخ الرواية العالميّة، فرغمِ قِدم نشأتها إلا أنّها مازالت تعبّر عن جوهر الإنسان وقضاياه ومشاكله، إضافةً إلى شغفنا بالأساطير والخوارق وكلّ ما له علاقة بالغموض والخيال، فوجدنا ضالّتنا في رواية "الأم" لمكسيم غوركي لما له من حسن الحبكة وجمال الصنعة.

فخلصنا للإشكالية التالية: كيف تجلّت صورة الأم في رواية "**الأم لمكسيم غوركي**" من منظور أساطير الخصب والنماء؟

وقد طرح بحثنا أيضا بعض التساؤلات التي سنجيب عنها خلال مسار البحث:

- كيف كانت نشأة الرواية الروسية؟ وما هي أهم سماتها؟
- ما مفهوم الأساطير؟ وما هي أبرز خصائصها ؟
- كيف تمّ توظيف أساطير الخصب والنماء في رواية "الأم لمكسيم غوركي"؟ وما هو الهدف من توظيفها؟

ولِاستكمال بحثنا اعتمدنا المنهج الأنثربولوجي الذي يقوم بربط الأساطير بحياة الإنسان ويعمل على دراسة العلاقة بينهما، وكيفيّة اِنعكاس الأساطير على الحياة اليوميّة للمجتمعات التي أنتجتها، كما أنّه يساعد على فهم أعمق للكيفيّة التي تَبني بها المجتمعات تفسيراتها للعالم من خلال الأساطير. بالإضافة إلى المنهج الثقافي الذي يُركّز على فهم الأساطير بِاعتبارها جزءا لا يتجزّأ من الثقافة التي أنتجتها، كما أنّه يتم دراسة الأساطير من خلال السياق التاريخي والِاجتماعي الذي نشأت فيه.

وكان لزاما علينا للإجابة على الإشكاليّة ومناقشة تساؤلات البحث، ضبط دراستنا بخطّة منهجية منظّمة للعمل، تضمّنت مقدمة وثلاثة فصول تليهم خاتمة وملاحق.

الفصل الأوّل بعنوان "الرواية الروسيّة الحديثة"، أشرنا فيه إلى نشأة الرواية الروسيّة في العصر الحديث، وتطوّرها وأبرز خصائصها.

جاء الفصل الثاني تحت عنوان "الأساطير في الفكر الحديث"، تطرّقنا فيه إلى مفهوم الأساطير، وخصائصها، إضافة إلى أساطير الخصب والنماء التي تعتبر محور الدراسة.

أمّا الفصل الثالث فهو عبارة عن دراسة تطبيقيّة، عنوانه "صورة الأم في رواية الأم لمكسيم غوركي من منظور أساطير الخصب والنماء"، قمنا فيه بدراسة فنيّة لرواية "الأم لمكسيم غوركي"، والأبعاد الشخصيّة للأم(جسمي،نفسي واجتماعي)، بالإضافة إلى أهم عنصر في البحث ألا وهو صورة الأم من منظور أساطير الخصب والنماء في رواية "الأم لمكسيم غوركي".

وفي الخاتمة تحدّثنا عن أهمّ نتائج الدراسة التي وصلنا إليها، تليها ملاحق جاء فيها غلاف الرواية، نبذة عن "مكسيم غوركي" وملخّص روايته "الأم".

وقد لفت اِنتباهنا وجود دراسات سابقة، تناولت شيئًا ممّا نحن بصدد دراسته منها:

- جماليات توظيف الشخصية الأسطورة: رواية الجازية والدراويش لعبد الحميد بن هدوقة أنموذجا(قدّور حينوني وعبد الرحمان لمعلم).
- مقال شهيرة بوخنوف، أساطير الخصب في بعض الثقافات.

كما اِعتمدنا في بحثنا على جملة من المصادر والمراجع، أهمّها:

- الرواية الروسية في القرن التاسع عشر لمكارم الغمري.
- الأسطورة مصادرها وبعض المظاهر السلبيّة في توظيفها لمحمّد عبد الرحمان يونس.
- الأسطورة والمعنى لفراس السواح.
- الأسطورة والتراث لسيد القمني.

وأثناء إنجازنا لهذا البحث واجهتنا مجموعة من العقبات، منها قلّة الدراسات الأكاديميّة المتعلّقة بالكاتب الروسي "مكسيم غوركي"، كثرة المراجع حول الأساطير وصعوبة الاِنتقاء منها الذي أدى إلى إصابتنا بالقليل من التشتيت كباحثين .

و في الأخير الحمد لله بما يليق بجلاله على توفيقه لنا، ونرجو أن يرتقي هذا البحث ويكون ثمرة صالحة للباحثين، ولا ننسى أن نتوجّه بجزيل الشكر لأساتذة جامعة يحيى فارس بالمدية، ونقدّم خالص الشكر والاِمتنان لمشرفتنا الفاضلة الدكتورة "العشمي عائشة" التي كانت نِعم المرشد والموجّه، ولأعضاء اللجنة المناقشة، والله وليّ التوفيق.

الفصل الأوّل:

الرواية الروسية في العصر الحديث

الفصل الأول : الرواية الروسيّة في العصر الحديث

1/_نشأة الرواية الروسية :

تُعدّ الرواية الروسية من أبرز روائع الأدب العالمي، وتتميز بِغناها الفكريّ وثرائها الثقافيّ، وتُجسّد بدقةٍ الواقع الاجتماعيّ والتاريخيّ لروسيا عبر العصور. في هذا المدخل، سنكتشف مسار نشأة الرواية الروسية، مُتعمّقين في أهمّ مراحلها وخصائصها.

"ظهرت الأشكال الأولى من الرواية الروسية في منتصف القرن الثامن عشر، أي ظهرت متأخرة عن مثيلاتها في الآداب الغربية، وقد تطلّب ظهور الرواية في هذه الفترة الخروج عن تقاليد الأدب القصصي وأدب القرون الوسطى، ومع ذلك فقد كان لاستيعاب إنجازات هذا الأدب وكذا تجربة الرواية الغربية الفضل في بروز الرواية كفنّ في الأدب الروسي"[1].

فبالرغم من تأخر ظهور الرواية في الأدب الروسي إلا أنها سرعان ما تمكّنت من تحقيق مكانة رفيعة وبارزة، فحقّقت تطوراً كبيرا بلغ قيمة في الرواية الاجتماعية الحديثة التي ظهرت في ثلاثينيات القرن التاسع عشر وأعطت صورة واسعة وشاملة للمجتمع والأفراد في ارتباطهم الوثيق والتأثر المتبادل.

" كما هو معروف في الرواية توجد علاقة وثيقة بالمذهب الواقعي، فهناك علاقة متبادلة بين تطوّر كلّ منهما، فازدهار الرواية هو ازدهار للواقعية، بالإضافة إلى أنّ المذهب الواقعي لقِي تعبيراً له في الرواية، لذا فإنّه يصاحب ظهور النماذج الأولى للرواية

[1] _ مكارم الغمري، الرواية الروسية في القرن التاسع عشر، عالم المعرفة، دط، الكويت، 1981، ص 256.

الاجتماعية في روسيا في ثلاثينيات القرن الماضي "[1]. إنّها عملية تحولّ تاريخي من المذهب الرومانسي إلى المذهب الواقعي .

كان بروز الاتجاه الواقعي والرواية الاجتماعية في الأدب الروسي في الثلاثينيات من القرن التاسع عشر مرتبطا بعوامل عديدة، كانت في مقدمتها الظروف التاريخية المحدّدة للتطور في روسيا في القرن التاسع عشر، وهو القرن الذي تميّز بانكسار وتوتر حاد بين الطبقات الواسعة، وكذلك بنهضة أخلاقية وعلمية ونموّ في وعي ووجدان جماهير الشعب، وقد كان ذلك يرتبط بنموّ وازدهار حركة التحرر الشعبية في روسيا بمراحلها المختلفة، لقد كان الروائيون الروس موجودين في خضم النضال الوطني، ويعيشون اهتمامات العصر، ويشاركون في الصراع الاجتماعي، تمكنّوا من أن يصوّروا في رواياتهم أهم المشاكل الجذرية للواقع في تغييره وتطوره وكذا مشاكل الفرد وارتباطها مع ظروف الواقع بدرجة جعلت من الرواية الروسية مرآة ناصعة لأهم مراحل الحياة الاجتماعية والنضال التاريخي بمنعطفاته ومنحنياته[2] .

"ومن هذا الالتحام استمدّت الرواية الروسية قوتها ومساحتها القومية، وقد أبرزت صورة روسيا، ومن جهة أخرى ارتباطها بالحياة الاجتماعية وبالحركة التحريرية الشعبية،

[1] _ مكارم الغمري، الرواية الروسية في القرن التاسع عشر، ص257 .

[2] _ ينظر، المرجع نفسه، ص259 .

وسبّب ذلك ظهور نمط البطل المفكّر والشخصية التقدمية الاجتماعية، وذلك النمط المميّز للفترات التاريخية المختلفة "[1].

فالرواية الروسية تقدّم صورة واقعية لحياة الشعب الروسي، فهي تُلامس هموم المجتمع الروسي وقضاياه، وتناقش التحديات التي تواجهها فئات مختلفة من الشعب.

أ/_ ما قبل الرواية الواقعية :

الرواية هي أكثر الفنون التي تبرز حياة الإنسان في تفاعلها مع الظروف الحياتية المحددة للعصر، وتصوير الحقبة الزمنيّة المرافقة للشخصيّة، وهي من أهم الأهداف التي يصنعها الروائي نصب عينيه، وفي هذا يقول الأديب الروسي الشهير **ألكسندر بوشكين** أوّل من قدّم الرواية الروسية الواقعية بكلمة الرواية "نحن نعي الرواية العهد التاريخي المتطور في الرواية الفنية"[2]، فهو يُؤكّد على أهمية تطور الرواية، حيث يرى أنّ هذا التطور يُثري هذا الفنّ ويُتيح له معالجة قضايا جديدة والتعبير عن تجارب إنسانية أكثر عمقًا.

"ولأنّ الرواية تهتم في الواقع بتصوير الشخصية الإنسانية العادية، فقد ربط الكثيرون من النقاد بين ظهورها وعصر النهضة في أوروبا في الفترة التي أُثبت فيها أثر المجتمع الإقطاعي، ومايرتبط بذلك من ظهور أنماط جديدة من الناس فرضت على

[1] _ مارك سلونيم، مجمل تاريخ الأدب الروسي، ترجمة صفوت عزيز جرجس، القاهرة، 1967، ص106 .

[2] ينظر، ألكسندر بوشكين، المؤلفات الكاملة، الجزء2، 1149، ص92.

الأدب الاهتمام بغض النظر عن مكانته الاجتماعية، وأيضا من النمو للوعي الاجتماعي الذي صاحب التغيرات الاجتماعية آنذاك "[1]. فقد ركّزت الرواية الروسية على تصوير حياة وتجارب الناس العاديين، بعكس الأدب السابق الذي كان يُركز على الأبطال الخارقين والملوك، يعكس هذا الاهتمام التغيرات الاجتماعية في عصر النهضة، حيث بدأت الطبقة الوسطى في الظهور وازدادت أهمية الفرد.

"وقد اختلفت الآراء حول تحديد بداية ظهور الرواية الروسية، فقد أشار الكثير من النقاد إلى أنّ الرواية الروسية الحديثة التي ظهرت في ثلاثينيات القرن الماضي تختلف اختلافا تامّا عمّا سبقها من أعمال روائية، وأنّه من المستحيل النظر إلى الرواية الكلاسيكية في القرن التاسع عشر على أنها مجرد كلمة عادية برواية القرن الثامن عشر فحسب، بل أيضا القصص الروسي القديم، والذي لاشكّ أنه كان له دورٌ في التمهيد لظهور الرواية الروسية"[2]. فمن الصعب تحديد تاريخ محدد لِظهور الرواية الروسية، فهذا الفنّ الأدبي تطوّر تدريجيًا على مدار القرون، فقد ساهمت العديد من العوامل في تطورها، منها التغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية.

[1] _ مكارم الغمري، الرواية الروسية في القرن التاسع عشر، ص12 .

[2] _ مارك سلونيم، مجمل تاريخ الأدب الروسي، ص 109.

ب/_ النماذج الأولى للرواية الروسية الاجتماعية :

مع قدوم ثلاثينيات القرن التاسع عشر ظهرت أول رواية اجتماعية في الأدب الروسي وهي رواية **يفغيني أونيغين لألكسندر بوشكين،** التي أنبأ ظهورها عن بداية العصر الذهبي للرواية الروسية التي تقدمت على الضروب الأدبية الأخرى لتصبح أرقى وأهم الفنون للأدب الروسي في القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر مرتبة تالية بعد الشعر والقصة.

" لم يكن بروز الرواية في الثلاثينيات من القرن الماضي صدفةً بل أدى ذلك إلى عدّة عوامل وظروف موضوعية محدّدة في الواقع المعاصر وفي التيّار الأدبي، فمن جهة كان لانكسار الحركة الديسمبرية الشهيرة أثر بالغ التي زادت به حدّة التوتر و تفاقمت فيه أزمة نظام **القنانة**[1] الذي هبّت الحركة من أجل القضاء عليه، ممّا بعث شعوراً من اليقظة لدى الجماهير التي بدأت تستيقظ بها مشاعر العزة الوطنية والاحتجاج على الواقع"[2]. لكن لا ينبغي حصر العوامل التي ساهمت في بروز الرواية في انكسار الحركة الديسمبرية وأزمة نظام القنانة فقط، فقد لعبت العديد من العوامل الأخرى دورًا هامًا في هذا التطور كالتأثيرات الأدبية الغربية حيث تأثر العديد من الكتاب الروس في تلك الفترة بالأدب

[1] _نظام القنانة: هو نظام اجتماعي واقتصادي كان سائدًا في أوروبا خلال العصور الوسطى وحتى القرن التاسع عشر، مكارم الغمري، الرواية الروسية في القرن التاسع عشر، ص29.

[2] _ المرجع نفسه ، ص29.

الغربي، وخاصة الروايات الفرنسية والإنجليزية، ممّا ساعدهم على تطوير تقنياتهم السردية وأساليبهم الأدبية.

" أمّا فيما يخص التيار الأدبي في الثلاثينيات فقد بدأ انعطاف الأدب الروسي في هذا العقد اتجاه المذهب الواقعي، وهو الانعطاف الذي لقى انعكاسه في تغلّب الشعر الواقعي على الشعر المثالي "[1]. فالأدب الروسي القديم في العصور الوسطى لم يعرف الرواية كنوع أدبي ولكنّه عرف المدونات التاريخية والدينية التي تصف حياة القديسين كأعمال أدبية وكوثائق قانونية وتاريخية مرجع إليها آنذاك، ورغم احتواء هذه المؤلفات على الكثير من التفاصيل الخيالية إلاّ أنّ القارئ في روسيا القديمة كان ينظر إليها على أنّها حقيقة مطلقة، وفي هذه المدونّة كان المؤلّف يتناول وصف حياة الشخصيات الشهيرة وتمجيد بطولاتها، وكان يهمّه في تصوير هذه الشخصيات بالدرجة الأولى الجانب العلمي التاريخي لهذه الشخصيات.

وعموما ما يمكن القول أنّ الإنتاج الأدبي كان يتماشى مع الفهم العام للأدب في تلك المرحلة المبكرة للنظام الإقطاعي في روسيا القديمة، والذي كان يعتبر دور الأدب فيه دينيا أخلاقيا وتاريخيا " فقد لعب الأدب دورًا هامًا في نشر المسيحية وتعزيز القيم

[1] _ حياة شرارة ، محمد يونس، مدخل إلى الأدب الروسي في القرن التاسع عشر، دار المدى، دط، العراق، 2011، ص 53.

المسيحية في المجتمع الروسي، كما ساهم في الحفاظ على التاريخ والثقافة الروسية، ونقل المعرفة والأفكار من جيل إلى آخر"[1].

" ولذا فإنّ تناول وصف الحياة العادية الخاصّة للشخصيات في الأدب كان يُنظر إليه آنذاك كشيء خاص للغاية ولا أهميّة له " [2] فقد كان المجتمع الروسي القديم مجتمعًا طبقيًا صارمًا، حيث كانت الحياة اليومية لعامة الشعب تختلف اختلافًا كبيرًا عن حياة النخبة، فلم يكن يُنظر إليها على أنها جديرة بالاهتمام، ممّا أدى إلى عدم تمثيلها في الأدب.

ورغم المنهج الجديد الذي أتت به الرواية الاجتماعية الواقعية، إلاّ أنّه تجدر الإشارة إلى أنّ هذه الرواية لم يكن من الممكن ظهورها بدون استيعاب المنجزات الفنيّة للقصة والرواية السابقة، والتي تشكّل بداخلها المضمون الفكري، وجاءت الرواية الجديدة في فترة ما قبل ثلاثينيات القرن الماضي حتى الأربعينيات أولى في تشكيل أسس الرواية الاجتماعية الجديدة، وصدرت في هذه الفترة ثلاثة روايات رائدة (يفغيني اونغين لبوشكين، بطل العصر لميخائيل ليرمنتوف والأرواح الميتة لنيقولاي غوغول).[3] فقد أُعتبرت الروايات الثلاثة المشار إليها أنّها مرحلة أولى في إرساء أسس الرواية الاجتماعية الجديدة، ومرحلة انتقالية من رواية القرن الثامن عشر إلى مطلع القرن التاسع عشر.

[1] _ ألبيريس، تاريخ الرواية الحديثة، ترجمة جورج سالم، دار عويدات، ط2، بيروت، 1982، ص244 .

[2] _ مارسيل أهرار ، تاريخ الادب الروسي، دم، دار عويدات، دط، بيروت، 1957، ص67.

[3] _ ينظر، مكارم الغمري، الرواية الروسيّة في القرن التاسع عشر، ص151 .

في الأخير نستنتج أنّ نشأة الرواية الروسية انطلقت من رحم التطورات الاجتماعية والثقافية والسياسية في روسيا في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر. حيث تميزت بواقعيتها، وتركيزها على القضايا الاجتماعية، وأبطالها المعقدين، ولغتها الغنية. فقد لعبت الرواية الروسية دورًا هامًا في تشكيل الثقافة الروسية والعالمية.

2/_ تطوّر الرواية الروسية في العصر الحديث :

عرفت الرواية الروسية في العصر الحديث تطورًا وازدهارا، وتميّزت بالنضج والأصالة والتجديد، حيث ظهر ذلك في أعمال العديد من الروائيين العظام الذين نالوا شهرة كبيرة ومجدا عظيما، ويتّضح هذا في مراحل مختلفة :

أ/_ المرحلة الأولى : تعتبر الفترة الممتدة من نهاية أربعينيات القرن التاسع عشر حتى نهاية الخمسينيات مرحلة أولى في تطور الرواية في هذه الحقبة، وهذه الفترة سادت في أعقاب انتكاسة الديسمبريين (أولى مراحل النضال الشعبي في روسيا)، تلك الانتكاسة التي أدّت إلى تفجير أزمة نظام الإقطاع النبيل الحاكم وازدياد حدّة التوتر والتناقضات الاجتماعية، وإفساح المجال شيئا فشيئا أمام مرحلة جديدة من مراحل النضال الشعبي، وهي مرحلة الثوار الديمقراطيين من أبناء الطبقة المتوسطة[1] .

تمثل الفترة الممتدة من نهاية أربعينيات القرن التاسع عشر حتى نهاية الخمسينيات مرحلة أولى حاسمة في تطور الرواية الروسية ، فقد تميزت هذه الحقبة بظروف تاريخية

[1] _ سماح عادل، الرواية الروسية ازدهرت في القرن التاسع عشر و صوّرت الشعب، 24 /2018/01، تم الاطلاع عليه في 2024/04/17، https://kitabat.com/cultural .

واجتماعية مضطربة أعقبت انتكاسة ثورة الديسمبريين، ممّا أدى إلى تفاقم أزمة نظام الإقطاع وازدياد التوتر الطبقي. ورافق ذلك صعود نجم الثوار الديمقراطيين من أبناء الطبقة المتوسطة، حاملين معهم أفكارًا جديدة وتطلعات ثورية.

" والأدب الروسي في البداية استطاع إبراز روح البطولة والتضحية في سبيل الحفاظ على البلاد، ليصبح نضال الشعب المتواصل ضدّ الغزاة هو الموضوع الأوّل في الإبداع الشعبي[1]". فقد لعب الأدب الروسي دورًا محوريًا في تشكيل الهوية الوطنية الروسية وتعزيز روح البطولة والتضحية في سبيل الوطن.

" ورغم أنّ الرواية في هذه الفترة كانت قد تقدّمت على فنون النثر الأخرى إلاّ أنّ الحدود بين الرواية والقصة في هذه الفترة بالذات كانت غير ثابتة، فكانت الرواية ترتبط ارتباطًا شديدا بالقصة، وأحيانا كانت تحمل بداخل تركيبها خصائص هذا الفن الذي كان له فضل الإعداد للكثير من شخصيات وأساليب ومضامين الرواية "[2].

تُعتبر العلاقة بين الرواية والقصة في المرحلة الأولى لتطور الرواية في روسيا مثالاً على الترابط والتفاعل بين مختلف أشكال الفنّون الأدبية. فقد استفادت كل من الرواية والقصة من بعضهما البعض، مما ساهم في إثراء وتطور الأدب الروسي خلال هذه الفترة المهمة.

---

[1] _ منيرة مصباح، حوارات وإشراقات في نصف قرن من السياسة والفكر والأدب والفن، دار الفضيلة، ط1، مصر، 2004، ص105.

[2] _ سماح عادل، الرواية الروسية إزدهرت في القرن التاسع عشر وصوّرت الشعب.

استمدّت الرواية مضمونها من مادة الواقع الجديد، فأخرجت في الخمسينيات تُصور الشباب المثقف الواعي الذي يحمل بين طيّاته بصمات الهزيمة، فنجده يغرق في شك وبأس مرير، وهذا يُدخل في تفكيره البحث الدائم عن مخرج من أزمة الواقع . إنّ الكثير من الشباب هم من يحملون راية الفكر الثوري الجديد، الفكر الديمقراطي الذي أتى ليبعد الفكر الليبرالي النبيل وكان بعضهم يحمل أيضا أفكارا اشتراكية طوباوية، التي كان لها انتشارا واسعا في تلك الفترة، يبدو أنّ أبحاث وآمال الأبطال تنتهي بالاصطدام بالواقع، ومن خلال هذا عبّر الروائيون عن أزمة النظام الاجتماعي القائم وسجّلوا رفضهم لمبادئه، وكان هذا الرّفض يرتبط بخط غير مرئي لحياة الشعب الذي أوّلته الرواية في الخمسينيات. [1]

ب/_ المرحلة الثانية: امتدت في الستينيات والسبعينيات في الفترة التي أُعدّت واستصدرت بها الإصلاحات الزراعية التي صدرت في 1861 م، وقد جرى الإعداد لهذه الإصلاحات في فترة (1859م _1861 م) في جو من النهضة الثورية، لكن الإصلاحات التي جاءت من جانب النظام النبيل الحاكم، رغم أنّها قد حرّرت الفلاح الروسي من التبعية الشخصية إلاّ أنّها أبقت على وضعه المستقل المضطهد، وكان لذلك أثره على نمو الأمزجة الثورية الجديدة المعادية للفكر الليبرالي .[2] فقد كانت لهذه المعطيات أثر بارز

[1] _ ينظر، مكارم الغمري، الرواية الروسية في القرن التاسع عشر، ص 101.

[2] _ عماد الدين موسى، ماذا نعرف عن الأدب الروسي الحديث ؟، 2018/05/09، تم الاطلاع عليه في 2024/04/15، https://diffah.alaraby.co.uk/diffah/secondbank/2018/5/8 .

على الرواية الروسية التي ظهرت بها أفكارا جديدة وموضوعات ووسائل في تصوير الحياة الشعبية.

" تميّزت هذه المرحلة بالخصوصية حول موضوع الدكتاتورية الأدبية، وقد أفصح الإخوة **سيرابيون** عن إيمانهم باستقلال الفن، وظهر الشكليون الذين آمنوا بأنّ شكل العمل الفني وبناؤه أهم من المضمون والمعنى، وظهرت الروايات الفكاهية، النفسية والرومانسية"[1] فقد ركّز الشكليون على تحليل الشكل والبنية في الأعمال الأدبية، معتبرين إياهما العنصر الأساسي في تحديد قيمة العمل الفني، وقد تعرضوا للكثير من الانتقادات بسبب إهمالهم للمضمون والمعنى.

" إنّ الأبطال الجدد من الطبقة المتوسطة يحملون الفكر الاشتراكي الثائر، ويدينون بالمعتقدات المادية، ويشتغلون بالنشاط الاجتماعي أو العلمي من أجل سعادة المجتمع وهم يبحثون في كدّ عن أنصار لهم، لكن أبحاثهم كثيرا ما تصاحبهم بقصة درامية، والروائيون في وصفهم للأبطال الجدد ينقسم إلى قسمين : قسم يتناول تصوير عمليات النمو الاجتماعية والفكرية لشخصية البطل ويصف حياته والظروف المحيطة به، وقسم آخر يهتم في المرتبة الأولى بتناول تصوير عملية النمو الاجتماعية التي يخدمها البطل

[1] _ عبد الخليل هيلات، الموسوعة الأدبية العالمية، دار الكتاب الثقافي، ط1، العراق، 2018، ص53.

الذي يظهر في الرواية كشخصية مكتملة، وفي بعض الأحيان كان الروائيون يمزجون بين كل هذه الموضوعات في رواية واحدة "[1].

فقد لعبت ظاهرة "الأبطال الجدد" دورًا هامًا في الرواية الروسية خلال هذه المرحلة، حيث عكست التغيرات الاجتماعية والسياسية والفكرية التي شهدتها روسيا في ذلك الوقت.

اِتّجهت الرواية في هذه المرحلة بشكل خاص نحو معالجة قضايا الشعب وانشغالاته، فارتبطت أبحاث الروائيين وأفكارهم بهموم الشعب وتطلعاته، ممّا أدّى إلى ظهور روايات تعكس الواقع المعيشي، والتحديات التي تواجهها مختلف فئات المجتمع. وبحثوا الروائيون عن بدائل جديدة لتحقيق حياة أفضل للشعب، وعبّروا عن ضرورة التغيير الجذري في مختلف جوانب الحياة، فدعوا لإصلاحات سياسية، اجتماعية وثقافية شاملة مؤمنين بأنّ ذلك هو السبيل الوحيد لتحقيق التقدم والازدهار، ومن أمثلة ذلك نذكر: ديك الجن: رواية "الفقراء" (1846)، دوستويفسكي: رواية "الجريمة والعقاب" (1866)، تولستوي: رواية "الحرب والسلام" (1869).

ج/ـ المرحلة الثالثة : " هي التي امتدت في ثمانينيات وتسعينيات القرن التاسع عشر، وهي الفترة التي سبقت ثورة 1905م، وقد تميّزت هذه الفترة بالتطور الشديد للعلاقات الرأسمالية في روسيا والتي أدّت إلى تنشيط الحركة العمّالية، وانتشار الفكر الاشتراكي بين طبقات المثقفين والعمال، كان ذلك السبب وراء حركة الإنعاش العامة التي انعكست في

[1] _ مكارم الغمري، الرواية الروسية في القرن التاسع عشر، ص 102.

الأدب في تلك الفترة."[1] لعبت الرواية في فترة ما قبل ثورة 1905 دورًا هامًا في توعية المجتمع وتحفيزه على التغيير. فقد كانت منصة للتعبير عن هموم وآمال الطبقة الكادحة، وساهمت في تهيئة الأجواء لاندلاع الثورة التي غيرت مجرى التاريخ في روسيا.

كان الجديد في روايات هذه الفترة، بروز موضوع العلاقة بين الفرد والمجتمع ليصبح الهدف الرئيسي للروائيين الذين اهتموا بإضافة الصورة الروسية للإنسان الروسي في هذه الفترة الانتقالية، وقد كان في مقدمّة هؤلاء الروائيين الكاتب العظيم " **ليو تولستوي** " في رواية "البعث"، واتجه إلى هذا الموضوع أيضا روائيون (سالتيكوف شيدرين، غرين ميخائيلوفسكي، مامين سيبرياك)، بالإضافة إلى ذلك ظهر في هذه الفترة نمط جديد للشخصية التي تحتجّ بكلّ مضمون حياتها ومصيرها ضد النظام القائم، وكانت هذه الشخصية الجديدة في روايات **غوركي** (" فاماجورديف" 1897_1899، ورواية "الأصدقاء الثلاثة " 1900_1901).[2]

تُعد الرواية الروسية من أبرز روائع الأدب العالمي، وتتميز بتاريخ حافل بالتطور والتجديد. مرت عبر تاريخها الطويل بمراحل تطور متعددة، عكست كل مرحلة منها التغيرات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي شهدتها روسيا. كانت هذه المراحل غنيّة بالحركات الأدبية والأفكار الجديدة ممّا ساهم بشكل كبير في إثراء وتطور الأدب الروسي ووضعه على خارطة الأدب العالمي.

[1] _ مكارم الغمري، الرواية الروسية في القرن التاسع عشر، ص103 .

[2] _ سماح عادل، الرواية الروسية إزدهرت وتطوّرت في القرن التاسع عشر وصوّرت الشعب.

3/_خصائص ومميزات الرواية الروسية:

يمثّل الأدب الروسي خطّا أدبيا ثريا ومتنوعا استحوذ على إعجاب القراء في جميع أنحاء العالم لقرون عدة، حيث تمتلك الرواية الروسية العديد من السمات والخصائص التي تميزه عن التقاليد الأدبية الأخرى، وتتمثّل السمات المميزة للرواية الروسية فيما يلي:

أ/_التركيز على العمق النفسي وتعقيد الشخصيات، إذ يتمتع الكتاب الروس بقدرة رائعة على الخوض في أعمق الأفكار والمشاعر لشخصياتهم، ممّا يخلق صورا ثرية ودقيقة، وغالبا ما يتحقق هذا العمق النفسي من خلال الأوصاف التفصيلية والمونولوجات الاستبطانية، وتطوير الشخصية المعقدّة.

ب/_ تصوير المشهد الشاسع والمتنوع لروسيا نفسها، في العموم يرتبط الكتاب الروس بوطنهم ارتباطا عميقا، وغالبا ما يدمجون في أعمالهم أوصافا للطبيعة من حولهم، سواء كانت المناظر الطبيعية الثلجية في سيبيريا أو في شوارع موسكو الصاخبة، وغالبا ما تصبح المشاهد التمهيدية في الأدب الروسي عنصرا رئيسيا في العمل، ممّا يثير الإحساس بالمكان ويضيف إلى الجو العام للعمل[1] .

يتمسّك الأدباء الروس بوطنهم تمسكا عميقا لذا غالبا ما ترتبط كتاباتهم به ويدمجون الطبيعة الروسية فيها.

[1] –حسين محمود التلاوي ،روسيا من الداخل: الأدب الروسي نظرة عامة، مجلة الحوار المتمدّن، العدد7695، البحرين، أوت 2023، تمّ الإطلاع عليه في 2024/04/20، https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=801239

ج/ـ تشتهر الروايات الروسية بمواضيعها الفلسفية والوجودية، إذ تظهر كتابات العديد من الكتاب الروس صراعات مع الأسئلة الفلسفية العميقة، واستكشاف معنى الحياة، ووجود الله وطبيعة الخير والشر، وغالبا ما تتشابك هذه الموضوعات الوجودية مع التعليقات الاجتماعية والسياسية ممّا يخلق نسيجا ثريّا من الأفكار ووجهات النظر.[1]

إذًا تعمّق الكتاب الروس في تعقيدات الطبيعة البشرية وغالبا ما تصارعوا مع الأسئلة الوجودية والفلسفية العميقة.

د/ـ التركيز على القضايا الاجتماعية والسياسية، فغالبا ما يستخدم الروائيون الروس أعمالهم كمنصة لنقد الظلم وعدم المساواة في المجتمع.[2] فقد تجلى هذا بشكل خاص في أعمال مكسيم غوركي، الذي كشف حقائق الحياة القاسية للطبقة العاملة في رواياته (رواية الأم، طفولتي، الأشرار، العبودية ...)، ومن خلال تسليط الضوء على هذه القضايا لعب الأدب الروسي دورا مهما في تشكيل الرأي العام و إحداث التغيير الاجتماعي حيث أثّر بشكل إيجابي في المجتمع الروسي.

هـ/ـ تتميّز الرواية الروسية مقارنة بغيرها بالصراحة ووضوح الرسالة وعدم الغموض، إذ يعبّر الكاتب عمّا يجول في خاطره بموضوعية دون مبالغة أو تقييد أو غموض مبتعدا

[1] _حسين محمود التلاوي، روسيا من الداخل: الأدب الروسي نظرة عامة.

[2] _ المرجع نفسه.

عن استخدام اللّغة الضعيفة بأسلوب بارع.[1] فالقارئ للأدب الروسي لن يُترك تائها غير متأكد من قصد الكاتب بعد انتهائه من قراءة الرواية.

و/ـ كره الشخصيات الرئيسية للحياة بشكل واضح وصارخ دون تردد من الكاتب في إظهار هذا الجانب[2]، ويمكننا القول أن إظهار هذا الجانب يعبر عن الواقع الحقيقي المعيش.

علاوة على ذلك يشكّل الأدب الروسي أحد أهم أنواع الأدب في العالم وأقدمها، حيث يعد من المعالم التراثية العالمية، ويعود السبب في ذلك إلى أصل الكتابة، فالمؤلفات الروسية تصدر عن كتاب يتميزون بالثقافة والمعرفة والإبداع والابتكار.

[1] _ ألاء الفارس، الأدب الروسي المفهوم والتاريخ والخصائص وأشهر الأدباء، 18-08-2022، تمّ الإطلاع عليه في 2024/03/17، https://mashrabya.com/type/blog/109.

[2] _ المرجع نفسه.

الفصل الثاني:
الأساطير في الفكر الحديث

الفصل الثاني: الأساطير في الفكر الحديث.

1-/_مفهوم الأساطير:

أ/_لغة:

تعددت التعريفات اللغوية للأسطورة واختلفت، حيث نلاحظ من خلال تعريف القدامى لها أن ثمة خلط بينها وبين الخرافة، إذ يبدو مفهوم الأسطورة مفهوما غامضا يرتبط أولا وأخيرا بالأباطيل والأحاديث التي لا نظام لها.

يقول ابن منظور تحت مادة سطر في قاموسه لسان العرب المحيط: " سطّر السّطرُ والسّطرَ: الصف من الكتاب والشجر والنخل ونحوها ... والجمع من كلِّ ذلك أسطرٌ. والأساطير الأباطيل والأساطير: أحاديث لا نظام لها، واحدتها أسطارٌ وإسطارةٌ بالكسرة (...) وأسطورٌ وأسطورةٌ بالضم (...)، الليث: يقال سطّر فلان علينا يسطر إذ جاء بأحاديث الباطل. يقال هو يسطِّر ما لا أصل له أي يؤلف. وفي حديث **الحسن** سأله **الأشعث** عن شيء من القرآن فقال له: والله إنّك ما تسيطر عليّ بشيء أي ما تروّج. يقال سطّر فلان على فلان إذ زخرف له الأقاويل الأساطير السّطر ".[1]

[1] _ابن منظور، لسان العرب المحيط، دار لسان العرب، طبعة جياط، ج2، بيروت، دت، ص143.

يتضح ممّا ورد في معجم **ابن منظور** أن الأساطير هي الأقاويل المزخرفة والأحاديث المنمّقة، و هذا يعني أن الأساطير ما هي إلا أحاديث باطلة.

ويتفق صاحب تاج العروس **محمد مرتضى الزبيدي** مع **ابن منظور** على أنّ الأساطير هي الأباطيل التي لا أساس لها من الصحة إذ يعتبرها ضربا من ضروب الكذب، حيث يقول في قاموسه تحت مادة سطّر: " والأساطير الأباطيل الأكاذيب والأحاديث التي لا نظام لها ... يقال سطّر فلان علينا إذ جاء بأحاديث تشبه الباطل، يقال هو يسطّر ما لا أصل له أي يؤلف ".[1] من خلال ما ورد في المعجمين السابقين نلاحظ أنّ **ابن منظور** يرى انّ الأساطير هي الأقاويل المزخرفة والمنمقة، ويتفق مع **مرتضى الزبيدي** على أنّ الأساطير هي الأحاديث التي لا نظام لها.

بينما يورد الدكتور **أحمد عثمان** رأيا آخر حول أصل الكلمة، يقول : "هناك رأي آخر حول أصل الكلمة، يقول أنها جاءت من الكلمة الإغريقية (هيستوريا) HISTORIA...ومعناها البحث أو الفحص أو التقصي وهذه الكلمة الإغريقة هي (هيستور)أو(إيستور) (HISTOR,HISTOR) بمعنى العارف أو الخبير أو المتعلم ".[2]

[1] _محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار مكتبة الحياة، م3، بيروت، دت، ص267.

[2] _محمد عبد الرّحمان يونس، الأسطورة مصادرها وبعض المظاهر السلبية في توظيفها، دار الألمعية، ط1، الجزائر، 2014، ص24.

يُقدّم الدكتور **أحمد عثمان** رأيًا مثيرًا للاهتمام حول أصل كلمة "أسطورة"، حيثُ يربطها بالكلمة الإغريقية "هيستوريا" (HISTORIA) بمعنى البحث أو الفحص أو التقصي.

وقد ورد لفظ أسطورة في القرآن الكريم على صيغة الجمع نحو:

قوله تعالى:{ إِنَّ هَـٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ }.[1]

وقوله تعالى:{وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا }.[2]

ويقول أيضا: { إِذْ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ }.[3]

وقد جاءت على لسان الكافرين، إذ كانوا يرون أن ما أنزله الله تعالى على الرسول صلى الله عليه وسلم ما هو إلاّ أساطير الأولين لأنهم عجزوا عن رد الحجة بالحجة.

ويقول **الطبري** في تفسير الآية الثالثة : " أي ما سطّره الأولون وكتبوه من الأحاديث والأخبار".[4]

---

[1] _سورة المؤمنون، الآية 83.

[2] _ سورة الفرقان، الآية 5 .

[3] _ سورة القلم، الآية 15 .

[4] _ الطبري، جامع البيان، ضبط و تعليق محمود شاكر الحرستاني، دار إحياء التراث، ط1، مج 24، بيروت، 2001، ص35 .

ب/_اصطلاحا:

تعد الأسطورة نشاطا فكريا متكاملا مارسه الإنسان البدائي منذ القدم و عبر العصور، لا يزال إلى الآن يمارسه، فقد كانت ملاذه لمواجهة واقعه الصعب، و كانت وسيلة الإجابة عمّا يجول في خلده، فجاءت بذلك الأسطورة لتزيح الغمامة عن نفسه والقلق والخوف اللّذان يعتريانه، بعد أن صنعها بعبقريته وخياله وفكره.

أمّا الجانب الاصطلاحي لتعريف الأسطورة فعادة ما يرتبط بسرد الخوارق وتفسيرات الإنسان للظواهر المحيطة به، والتي لم يجد لها تعريفا منطقيا فهي إذا :"رواية أعمال إله أو كائن خارق ما، تقص حدثا تاريخيا خياليا، أو تشرح عادة معتقدا أو نظاما أو ظاهرة طبيعية . وللأجناس والأمم أو القبائل أو الأماكن أساطيرها الخاصة "[1]. فمن غير المناسب اعتبار الأسطورة مجرد فكر بدائي، فهي ليست محاولات لفهم البشرية وإيجاد تفسيرات للظواهر الطبيعية فحسب.

ومن جهة مفهوم الأسطورة الحديث فإننّا نجده مصطلحا متشعبا يحمل دلالات خاصة، وهي تطلق على أنواع من القصص أو الحكايات مجهولة المنشأ، إلا أنّ لها علاقة بالتراث أو بالدين أو بالأحداث التاريخية... وهي أيضا قصص عامة أو خاصة تروي أحداثا عن الآلهة، أو عن كائنات بشرية خارقة ومتفوقة، أو عن أحداث خيالية

[1] _ أمين سلامة، الأساطير اليونانية والرومانية، دار الثقافة العربية، دط، الأردن، 1988، ص10.

خارجة عن المألوف، تتحدث أحيانا عن تجارب متخيلة للإنسان المعاصر سواء كانت ممكنة الحدوث أو لا، ودون برهنة عليها.[1] فالأسطورة عادة ما تكون بعيدة عن الحقيقة وغير منطقية ممزوجة بالخرافات، إذ تدور أحداثها حول أبطال أو آلهة أو ظواهر طبيعية أو اجتماعية فتفسرها من أجل إقناع الناس إما بأفكار أو بعقائد معينة.

ومن وجهة نظر الأكاديمي **عبد الحميد بورايو** فإنّ الأسطورة عنده : "هي الحكاية التي تختص بالآلهة وبأفعالهم وبمغامراتهم وأنها محاولة لفهم الكون بظواهره المتعددة، وهي أيضا تفسير له، وهي نتاج وليد المخيلة ولكنها لا تخلو من منطق معين، ومن فلسفة أوّلية حول الوجود الميتافيزيقي، فلمضمونها علاقة وطيدة بالجانب الروحي للإنسان الأول "[2]. يرى **عبد الحميد بورايو** أنه توجد علاقة قوية تربط بين الأسطورة والجانب الروحي للإنسان القديم.

في حين يرى **عبد المالك مرتاض** أنّها: "مزيج من كل شيء في كل شيء، فهي حكاية خالصة وهي حكاية مستوحاة من حوادث التاريخ، وهي قصة سردية، وهي تاريخ

[1] _ ينظر، الموسوعة العربية العلمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع، ط1، الرياض، 1996، ص280_281.

[2] _ عبد الحميد بورايو، أشكال التعبير القصصي الجزائري بين العتاقة و المعاصرة، ملتقى الخطاب النقدي العربي المعاصر و قضاياه و اتجاهاته، دار الهدى، دط، الجزائر، 2004/03/22، ص9.

الآلهة، وهي تاريخ أبطال، وهي تاريخ أجداد، وهي سيرة حيوانات..."[1]. فهو يرى أنّ الأسطورة تجمع بين الأدب والدين والتاريخ، فهي توظف في النصوص السردية، وفي القصص الشعبية النثرية، أمّا بخصوص الدين فهي تمثّل ذلك الصراع الذي يجري بين الإنسان والواقع الذي يعيشه.

ومن هذه المنطلقات فالأسطورة هي محاولة لفهم الكون بظواهره المتعددة والمختلفة، أو هي تفسير له، وتعتبر إنتاج وليد الخيال، ولكن لا يمكننا إهمال أنّها لا تخلو من منطلق معين ومن فلسفة أوّلية تطور عنها العلم والفلسفة فيما بعد.[2]

ويرى الباحث **جبور عبد النور** أنّ الأسطورة تشويه للأحداث التاريخية ويعرّفها قائلا: " هي سرد قصصي مشوّه للأحداث التاريخية تعمد إليه المخيّلة الشعبية، فتبتدع الحكايات الدينية، والقومية، والفلسفية، لتثير انتباه الجمهور. والأسطورة تعتمد عادة تقاليد العامة وأحاديثهم وحكاياتهم، وتتّخذ منها عنصراً أوّليا ينمو مع الزّمن بإضافات جديدة حسب الرواة و البلدان فتصبح غنيّة بالأخيلة والأحداث والعُقد، وقد تكون الأسطورة من صنع كاتب أو شاعر معيّن غاص على أحلام شعبه وأدرك العوامل المثيرة له، و توسّل بأسلوبه الخاص وضع أسطورة ناجحة...تصبح مع مرور الزمن من الفلكلور المحلّي أو

[1] _مصطفى أوشاطر، الأسطورة و إشكالية تصنيفها في الدراسات الحديثة، مجلة بحوث سيميائية، مركز البحث العلمي أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2009/05/06،ص355.

[2] _ينظر، نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة، ط1، القاهرة، دت، ص09.

التراث الشعبي."[1] فإذا كانت الأسطورة سردا مشوّها للأحداث التاريخية فإنّها لا تزال تحتوي جزءا من الحقيقة، ومع مرور الزمن، تُصبح جزءًا لا يتجزأ من الفلكلور المحلي أو التراث الشعبي، وتتوارث عبر الأجيال، حاملةً معها قيمًا ومعتقدات وثقافات الشعوب.

ويعرّف رولان بارت الأسطورة قائلاً: " تقليد يكشف عن واقع طبيعي أو تاريخي أو فلسفي من خلال المجاز أو الاستعارة، وهذا هو معناها عند الإغريق، ثمّ يقول إنها تحوّلت إلى عملية تضليل، و شيء عابث خادع، و في نهاية المطاف إلى (رمز) ..."[2]. ففي القرنين التاسع عشر والعشرين، شهِد مفهوم "الأسطورة" تحوّلًا هامًا، حيثُ أعاد المفكرون والفلاسفة تقييمها واعتبروها رموزًا غنية تُعبّر عن أفكار ومعتقدات عميقة.

و يقول **دي روجمون** في كتابه الحب والغرب عن الأسطورة : " يمكن أن نقول بصفة عامة، إنّ الأسطورة قصّة أو حكاية رمزية بسيطة ومؤثّرة، تلخّص عددا لا ينتهي من المواقف المتشابهة قليلا أو كثيرا. وبالمعنى الضيّق للكلمة، تُترجم الأسطورة قواعد السلوك عند جماعة اجتماعية أو دينية بعينها، وتنتمي بالتالي، إلى العصر المقدس الذي تكوّنت حوله هذه الجماعة. والأسطورة لا مؤلّف لها و يتعيّن أن يكون أصلها غامضا،

[1] _ محمد عبد الرحمان يونس،الأسطورة مصادرها وبعض المظاهر السلبيّة في توظيفها، ص25_26.

[2] _ محمد لطفي اليوسفي، في بنية الشعر العربي المعاصر، دار سراس للنّشر، ط1، تونس، 1985، ص142 .

ومعناها نفسه غامضا إلى حدٍّ ما، ولعلّ أعمق سمات الأسطورة أن تتمكّن منّا، رغما عنّا."[1]

تنتمي الأسطورة إلى "العصر المقدس" فهي تُعدّ حكاية رمزية بسيطة ومؤثّرة، تُلخّص مواقف متشابهة، وتُعبّر عن قيم ومعتقدات جماعة اجتماعية أو دينية معينة، وتفتقر إلى مؤلّف محدد، ممّا يُضفي عليها هالة من الغموض والسحر.

إنّ مصطلح الأسطورة بالرغم من الدراسات الكثيرة حوله يبقى غامضا نسبيّا، وقد تساءل **سنت أوغسطين** قديما : "ما هي الأسطورة ؟ إنّني أعرف جيّدًا ما هي بشرط ألاّ يسألني أحد عنها، ولكن إذا ما سُئلت وأردت الجواب فسوف يعتريني التلكؤ "[2].

تُجسّد مقولة أوغسطين مفارقة المعرفة المتعلقة بالأسطورة، حيثُ أنّنا قد نمتلك شعورًا عميقًا بجوهرها، لكن يصعب علينا التعبير عنه بدقة ووضوح عند طلب الشرح، ولا يُعدّ غموضها عيبًا أو نقصًا، بل هو أحد أهمّ سماتها التي تُضفي عليها سحرًا خاصًا وتُثير اهتمام السامعين.

وفي الأخير نرى أن التباين الحاصل في فهم معنى الأسطورة عائد إلى الاختلافات الثقافية والاجتماعية، والمعتقدات الدينية والمذهبية، والبنى الفلسفية والفكرية التي ينتمي إليها كلّ من حاول أن يفهم الأسطورة ويضع تعريفا لها، بالإضافة إلى العادات والطقوس

[1] _ محمد لطفي اليونسي، في بنية الشعر العربي المعاص٧، ص22 .

[2] _ اعتدال عثمان، إضاءة النّص، دار الحداثة، ط1، بيروت، 1988، ص71.

التي تتحكّم في حضارة ما، والتي بدورها تختلف عن عادات وطقوس المجتمع الآخر، ودراسة هذه الاختلافات تُساعدنا على فهم الأسطورة بشكل أفضل، وفهم الثقافات المختلفة بشكل أعمق.

2/_خصائص الأسطورة :

يتميّز النص الأسطوري عن غيره من النصوص الأدبية والأجناس الأخرى بمعايير عِدّة يمكن أن نلخصها فيما يلي:

"إنّ الأسطورة هي عنصر مكون للفكر البشري وعنصر جمالي وبنائي في النص الأدبي...فالأسطورة في بنيتها العميقة رؤية ثقافية وتاريخية، لكن لا تعني تاريخا ثابتا بل هي في سيرورتها عبر التطور التاريخي قادرة على كشف بؤر الظلام، سواء في الماضي أو في الحاضر وتناميه وحركيته صوب المستقبل".[1] ولقد قدّم الكاتب السوري **فراس السواح** ثمان خصائص جوهرية للأسطورة نذكر بعضا منها:

1_من حيث الشكل : " الأسطورة هي قصة، وتحكمها مبادئ السرد القصصي من حبكة وعقدة وشخصيات، وما إليها وغالبا ما يجري صياغتها في قالب شعري يساعد على عملية ترتيلها وتداولها في المناسبات الطقسية، كما يزودها الطابع الشعري بسلطان على

[1] _محمد عبد الرحمان يونس، الأسطورة مصادرها وبعض المظاهر السلبيّة في توظيفها، ص53.

القلوب، لا يتمتع به النص النثري "[1]. فالأسطورة تتطابق مع القصة في عناصر عديدة منها النسيج الحكائي والعقدة والشخصيات، غير أنّ الأسطورة تأتي في قالب شعري .

2_"يحافظ النص الأسطوري على ثباته عبر فترة طويلة من الزمن وتناقلته الأجيال طالما حافظ على طاقته الإيحائية بالنسبة إلى الجماعة، فالأسطورة السومرية (هبوط إنانا إلى العالم الأسفل) والتي دونت كتابة خلال النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد، قد اِستمرّت في صيغتها الأُكادية المطابقة تقريبا للأصل السومري، إلى أواسط الألف الأول قبل الميلاد. غير أنّ خاصية الثبات هذه لا تعني الجمود أو التحجر، لأنّ الفكر الأسطوري يتابع على الدوام خلق أساطير جديدة، ولا يجد غضاضة في التخلي عن تلك الأساطير التي فقدت طاقتها الإيحائية أو تعديلها ".[2]

حسب رأي **فراس السواح** يتّضح أنّ تميز الأسطورة بالثبات الطويل والتناقل عبر الأجيال لا يعني الجمود أو التوقف عن خلق أساطير جديدة والتخلي عن تلك الأساطير الأولى أو تعديلها.

3_تتميّز بأنها حكاية مقدسة من خلال الطابع الديني والطقوس التي تمارس في الأعياد الدينية اليونانية لكبير الآلهة **(ديونيزوس)**، فالأسطورة " هي حكاية مقدسة، يلعب أدوارها

[1] _محمد الأمين بحري، الأسطوري التأسيس والتجنيس والنقد، منشورات ضفاف، ط1، بيروت، 2018، ص97.

[2] _ فراس السواح، الأسطورة والمعنى دراسات في الميثيولوجيا والديانات المشرقية، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، ط2 ، سوريا، 2001، ص12.

الآلهة، وأنصاف الآلهة، والبشر والأبطال، أحداثها ليست متخيلة، بل إنها وقائع حصلت في زمن البدء (الزمن المقدّس)، وهي سجّل الآلهة ويحوي كثيرا من الطقوس الدينية والعادات "[1]. ولقد أرّخت الأساطير لتاريخ الآلهة والصراع بينها وبين بني البشر في تلك الأزمنة الغابرة.

4_تتميز موضوعات الأسطورة بالطابع الجدلي والشمولي مثل نشأة الكون وحياة الآلهة والبشر وكذلك هواجس الإنسان وتساؤلاته عن الموت والعالم الآخر ومعنى الحياة وسر الوجود، " وهي تشترك في موضوعاتها مع الفلسفة إلاّ أنّ الفلسفة تلجأ إلى المحاكمة العقلية للمفاهيم و العلوم بينما تلجأ الأسطورة إلى الخيال والعاطفة والترميز "[2].

يعني أنّ الأسطورة ترتبط بالفلسفة في موضوعاتها لكن يختلفان في أنّ الأسطورة تلجأ إلى الخيال والعاطفة، بينما الفلسفة تلتزم بالمحاكمة العقلية للمفاهيم والعلوم، لذلك تفرّعت الأسطورة في بداياتها عن جدل الفلسفة والمنطق .

5_ لا يُعرف للأسطورة مؤلف، فهي مجهولة المؤلف "بمعنى أنها تنتقل من جيل إلى جيل، بالرواية الشفهية ممّا يجعلها ذاكرة جماعية، التي تحفظ قيمها وعاداتها وطقوسها

[1] _ فراس السواح، الأسطورة والمعنى دراسات في الميثيولوجيا والديانات المشرقية، ص26.

[2] _ مؤلف جماعي، سلسلة عندما نطق السراة، توثيق حضاري، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، ط1، مملكة البحرين، 2005، ص21.

وحكمتها، وتنقلها للأجيال المتعاقبة ..."[1]. فالأسطورة هي الضمير الجماعي للأمم والشعوب الغابرة، دورها حفظ الميراث الإنساني وتواتره عن طريق الرواية الشفوية، التي تناقلتها الأجيال عبر فترات زمنية متتالية .

6_ للأسطورة تأثير قوي على أذهان وعقول البشر لما لها من " سلطان تقديسي ذهني على عقولهم ونفوسهم، حيث لا يمكن قياس سطوتها الجبارة قديما إلا بسطوة العلم "[2].

فالأسطورة تُعتبر علم البشر الأولين الذين حاولوا التفكير فيما يحيط بهم من مظاهر كونية غير طبيعية، لذلك تعددت الآلهة بتعدد مظاهر الطبيعة مجهولة التفسير بالنسبة إليها، وبمرور الزمن فقدت الأسطورة سلطانها التقديسي بظهور العلم.

7_ تقترن الأسطورة بنظام ديني خاص، وتعمل على توضيح معتقداته لمعتقدين بها، بالغوص في صلب طقوسه، ويمكن أن تفقد الأسطورة خصوصيتها الدينية المقدّسة، فتتحول إلى حكاية دنيوية مدنّسة تُروى لأغراض أخرى كالموعظة والحكمة دون أن تُنسب إلى اليقينيات أو الحقائق الجذرية .[3]

---

[1]_فراس السواح، مغامرة العقل الأولى دراسة في الأسطورة، دار الكلمة للنشر، ط2، بيروت، 1981، ص16 .

[2]_محمد الأمين بحري، الأسطورة التأسيس والتجنيس والنقد، ص98.

[3]_ ينظر، فراس السواح، الأسطورة والمعنى دراسات في الميثيولوجيا والديانات المشرقية، ص13،14.

8_ الأسطورة مخزون أساسي للرموز والصور الشعرية، هذه الرموز التي يشكلها اللاّشعور الإنساني الجمعي، الذي يعد مستودعا هائلا للرموز.[1]

من خلال ما تقدّم نستنتج أن الأسطورة من أكثر الأجناس الأدبية قداسة لارتباطها بمعتقدات الشعوب وترسيخ مبادئها وأفكارها منذ خلق الإنسان والتفكير في هذا الكون الفسيح ومظاهره.

3/_أساطير الخصب في بعض الثقافات:

منذ فجر التاريخ، واجه الإنسان مختلف الظواهر الطبيعية الغامضة التي أثارت حيرته وتساؤلاته. وعلى الرغم من محدودية فهمه في ذلك الوقت، لم يقف مكتوف الأيدي، بل لجأ إلى خياله الخلاق واستطاع أن يستنبط تفسيرات لهذه الظواهر، ففسّرها بوجود قوى خارقة أكبر منه، من آلهة أو كائنات عليا تقوم بما لا يستطيع القيام به، حيث تتحكّم في مسار الأحداث وتصرفات الطبيعة، أي أنه لجأ إلى توليد الأساطير التي أراحته من عناء التفكير وهدّأت من روعه وقلقه اتجاه مختلف ظواهر الطبيعة المحيطة به.

"وقد اهتمّ الإنسان القديم في مختلف الثقافات بآلهة الصيد والقنص تماشيا مع ظروف حياته التي كانت تعتمد على الصيد، وبانتقاله تدريجيا إلى طور الزراعة تغيّرت معتقداته، فأصبحت تتمحور حول الخصوبة والزراعة التي صارت عماد حياته، أي أنّها

[1] _محمد عبد الرحمان يونس، الأسطورة مصادرها وبعض المظاهر السلبية في دراستها، ص58.

أصبحت مرتبطة بآلهة الخصوبة، يسترضونها ويتقربون إليها بمختلف القربان لضمان خصوبة أراضيهم ..."[1]، حيث تعدّ الأساطير بمثابة قصص مقدّسة لدى أصحابها، تروي مختلف الأحداث التي وقعت في زمن البدء، وتحتل أساطير الخصب مكانة خاصة ضمن هذا التراث، فهي تتناول موضوعا جوهريا لحياة الإنسان ألا وهو النماء والخصوبة اللّذان يشكلان الركيزة الأساسية لاستمرار الحياة.

من خلال استكشاف أساطير مختلف الحضارات والثقافات، نلاحظ انتشار ظاهرة مشتركة وهي الربط بين الخصوبة والنماء في الطبيعة وبين معتقدات الإنسان الدينية، ففي الديانة المصرية القديمة نجد " **إيزيس** الآلهة المصرية العريقة، كانت ربة الخصب، وهي تُقابل **سيريس** الرومانية و**ديميتير** اليونانية، وهؤلاء الربات الثلاث ربّما كنّ امتدادا لعقيدة شاملة في الأم العظمى انتشرت قبل ذلك في منطقة البحر المتوسط "[2]. هذا يعني أنّ الربات الثلاث : **إيزيس** المصرية **وسيريس** الرومانية و**ديميتير** الإغريقية هنّ ربّات الخصوبة.

"من المعروف أن إيزيس كانت تحظى بمكانة مرموقة لدى المؤمنين بها سواء كانوا من المصريين أو من غيرهم، وذلك لما كانت تحمله أسطورتها من معاني الحب والحنان والوفاء والبعث والأمل في حياة آتية بعد الموت، وقد لقيت التقدير من البطالمة إذ

[1] _ شهيرة بو خنوف، أساطير الخصب في بعض للثقافات، مجلة تمثلات، العدد03، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، أفريل 2017، ص83.

[2] _ المرجع نفسه، ص85.

جعلوها عماد ثالوثهم الذي عبدوه في مصر، مقرنين معها زوجها **سرابيس** بدلا من **أوزوريس**، وابنهما **هاربوقراطيس** بدلا من **حورس** ... وكانت **إيزيس** الباب الذي دلف منه المسيحيون في هدوء إلى العذراء **مريم** ..."[1]. بما يعني أن الآلهة **إيزيس** المصرية المخصّبة تماثل السيدة **مريم** العذراء عند المسيحيين، ومن ثمّ فإنّ **أوزوريس** المصري يماثل **المسيح** حسب نظرهم.

تُعتبر الأنثى هي المنطلق الأساسي الذي انبعثت منه أساطير الخصب وأساطير التجدد والتحول والتبشير بعالم جديد بما تنطوي عليه من خصوبة وولادة للحياة، حيث "تقول **ميد** مقولة اعتيادية تماما، وهي أنّ النساء بفضل قدرتهنّ على الإنجاب ولأن مسألة الولادة كانت في عيني الإنسان البدائي مثيرة للدهشة والعجب (وربما الانبهار المؤدي للتقديس)، ممّا أدى إلى الاعتقاد بأن النساء قابضات على أسرار الحياة "[2]. ففي الزمن البدائي كان التصور السائد أن الأنثى وحدها هي الكائن المسؤول عن منح الحياة مع إهمال دور الرجل.

إضافة إلى أسطورة **(الشعير والنعجة)** السومرية التي تقول:" إنّ البشر قد خرجوا من الأرض الأم كالزرع والحشيش والدود، وهذا خروج الزرع من الأرض وخروج الوليد من بطن الأم هو ما حدا بالعقل إلى اعتبار الأرض هي الأم الأولى الكبرى التي أنجبت الزرع

[1] _ رأفت عبد الحميد، الفكر المصري في العصر المسيحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، مص، 2011، ص 27.

[2] _سيد القمني، الأسطورة و التراث، مؤسسة هنداوي للكتب، دط، مصر، 2020، ص 97.

والحيوان والإنسان ... ولا ننسى أن اكتشاف المرأة الزراعة ومفاجأتها للرجال القناصين بهذه القدرة العجيبة زاد من ارتباطها بالأرض ومن رصيدها الخطير (منح الحياة أو إنتاج الحياة...) حتى أصبح ذلك اختصاصا أنثويا بحتا"[1]. فقد اعتبروا المرأة هي محور الكون وهي الأم الأولى والكبرى وليدة كل شيء فوق الأرض.

ويُروى في أسطورة **سيريس** و **بروسيرينا** _وهي الأسطورة نفسها **ديميتيرا** و**بيرسوفوني** الإغريقية_ أنّه" بينما كانت ابنة **سيريس بروسيرينا** الجميلة المرحة تقطف أزهار البنفسج والسوسن مع رفيقاتها حتى وقع عليها بصر إله العالم السفلي **بلوتو** فيقع في غرامها إذ رأى بأن جمالها الوضّاء هو القادر على بعث الحياة في مملكته السفلية الخامدة، فاختطفها عنوة رغم صراخها وتوسلاتها... تسلّلت الأحزان والهموم إلى أمها **سيريس** التي كانت أول من حرث الأرض، فأخذت تبحث عنها في جميع أرجاء الأرض وعندما تعبت أخذت تلعن الأرض فقضت على الفلاحين و الثيران بالهلاك والطاعون، وأمرت الحقول بإفساد ما غرس فيها "[2]. بلعنة **سيريس** للأرض تحولّت من أرض خصبة خضراء إلى أرض قاحلة جرداء لا ينمو فيها زرع ولا نبات. ومن أعماق البركة برز وجه **آريثوزا** فأخبرت **سيريس** بحقيقة ابنتها، وما إن سمعت كلامها حتى انطلقت إلى الإله **جوبتير** متوسلة إياه ليعيد لها ابنتها من العالم السفلي، فأجابها أنه من السهل استعادتها إذا لم تتذوّق طعامه، غير أن ابنتها كانت قد تذوقت سبع حبات من رمانة العالم

[1] _ سيد القمني، الأسطورة والتراث، ص98.

[2] _شهيرة بوخنوف، أساطير الخصب في بعض الثقافات، ص85-86 .

السفلي... فحال ذلك بينها وبين العودة إلى عالم الأرض. لكن سرعان ما تدخّل الإله **جوبتير** بين أخيه وشقيقته الحزينة، فقسّم العام إلى قسمين متساويين حتى تستطيع **بروسيرينا** أن تقيم مع أمها **سيريس** ذلك العدد من الشهور التي تقضيها مع زوجها بلوتو، فتبدّل وجه أمها و أشرق فرحا بعودتها.[1]

وبعودة ابنتها عاد اخضرار الأرض إلى سابق عهده، فهي أسطورة ترمز إلى النماء الذي يموت ويبعث من جديد في فصل الربيع، فبغياب **بروسيرينا** عن سطح الأرض يحل الجفاف والظلام، وبعودتها يعود النور والاخضرار، فهي تروي حكاية مثيرة عن دورة الحياة والموت وعودة الربيع . ولذلك نجد أنّ "هناك مهرجانا يدعى **عيد الزهرة الذهبية** كان يقام تمجيدا **لبرسيفوني** في ساردیس، وربّما كان ذلك في أحد أشهر الربيع ، ومن المحتمل جدّا أنهم كانوا يمثلون بعث البطل وبعث الآلهة معا "[2]. فمهرجان عيد الزهرة الذهبية هو مهرجان يقام في فصل الربيع فرحا بعودة وانبعاث إلهة الخصب للحياة من جديد وتمجيدا لها.

ونجد عند البابليين الآلهة **عشتار** التي هبطت إلى العالم السفلي لإنقاذ زوجها **تموز**، إذ "يتضح أثر **عشتار** على الطبيعة في قصة هبوطها إلى العالم الأسفل، فحين

---

[1] _أوفيد ، مسخ الكائنات –Métamorphoses_، ترجمة ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، مصر، 1997، ص124.

[2] _سيرجيمس فريز: أدونيس أو تموز، دراسة في الأساطير والأديان الشرقية القديمة، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا، ط3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان ، 1982، ص135.

تغيب مع الموتى تصاب الحياة بالقحط فتنضب الخضرة، وتذهب الخصوبة، ويعجز الذكور عن ممارسة دورهم الخصبي، مما يهدد الحياة على الأرض بالفناء"[1].

فنزول الآلهة **عشتار** إلى العالم السفلي المظلم، هو غياب لكل مظاهر الخصوبة وصعودها إلى العالم العلوي هو عودة للخصوبة والخضرة." إن موت النباتات في الخريف وعودتها في الربيع هو غياب **عشتار** روح الخصوبة الكونية، وعودتها حية قوية متجددة. والاحتجاب الشهري للأم القمرية هو الآن احتجاب سنوي لأم الخصوبة وروح الإنبات. ففي الخريف تهبط **عشتار** إلى العالم الأسفل لترقد هناك طيلة فصل الشتاء، ومع الربيع تنفض من مرقدها ملونة وجه الأرض بكل أخضر بهيج "[2]. وبذلك تكون الآلهة **عشتار** هي ربّة الخصب والنماء في الطبيعة .

ونجد الربة **إنانا** التي لعبت دورا مهما في الأساطير السومرية فهي:" الآلهة الأم عند السومريين وملكة السماء، وقد عُرفت كذلك باسم **نيني** أصبحت فيما بعد مرادفة للربة **عشتار** وعلى ما ويبدو أن هذا الاسم كان يطلق على ربات ما قبل الطوفان ومعناه "**السيدة** أو **السيدة العظيمة**"... واقترن اسمها فيما بعد باسم **فينوس** "[3].

---

[1] _ محمود مفلح البكر، الروح الأخضر، احتفالات الخصب في العادة والمعتقد، دار الحضارة الجديدة، ط1، لبنان، 1992، ص197 .

[2] _ فراس السواح، لغز عشتار، الألوهة المؤنثة و أصل الدين و الأسطورة، دار علاء الدين، ط7، دمشق، 2000، ص107 .

[3] _ عبد الحميد يونس، معجم الفولكلور مع مسرد إنجليزي _عربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 2009، ص 154.

إذا تُعرف **إنانا**، إلهة السومريين، بلقب "**الآلهة الأم**" و"**ملكة السماء**". كما عُرفت باسم **نيني**، وتعتبر مرادفة للربة **عشتار**. يعود أصل اسمها إلى ما قبل الطوفان، وقد ارتبط اسمها لاحقًا باسم إلهة الحب والجمال **فينوس**.

فأدونيس " قد لقي مصرعه على يد خنزير بري، وهو يمارس الصيد في الجبال، فنبتت من دمه المسفوح شقائق النعمان، وحزنت **أفروديت** لمصرعه حزنا شديدا، فقررت الآلهة أن يمضي معها ستّة أشهر من كلّ عام، أما الأشهر الستة الأخرى فيقضيها في العالم السفلي... فتنطلق حبيبته الإلهة باحثة عنه، وبينما هي غائبة عن الأرض تتعرض هذه لأشعة الشمس الحارقة، ولا تنشأ أي عاطفة حب بين ذكر وأنثى..."[1] فبغياب **أدونيس**، تُحرم الأرض من حبه وجماله وتتعرض لأشعة الشمس الحارقة، وتصبح قاحلة. حيث تبحث **أفروديت** عن حبيبها دون كلل، وتغيب عن واجباتها كإلهة، مما يؤدي إلى توقف مشاعر الحب بين البشر. فقصة **أدونيس** تُجسد دورة الحياة والموت، وتُمثل صراع الخير والشر، والنور والظلام، كما تُظهر قوة الحب وخلوده، حتى في مواجهة الموت.

وفي "غالب الأحيان تكون الإلهة الأم، هي زوجة الإله الذي يموت ثم يبعث حيا، وهي في الوقت عينه عذراء: **إيزيس لأوزيريس**، و**عشتار لتموز**... وتمثل الآلهة قوى الأرض المنتجة، بينما يرتبط الإله بتجدد الطبيعة في الربيع، بالتعاقب الدوري

[1] _ عبد الحميد يونس، معجم الفولكلور مع مسرد إنجليزي_عربي، ص 44.

للفصول..."[1]. فاتحاد الإلهة الأم مع زوجها الإله المقتول في مطلع الربيع يمثلان مختلف قوى الأرض، فالإلهة الأم، رمزًا لقوى الطبيعة الإبداعية، تُجسّد خصوبة الأرض وقدرتها على إنجاب الحياة، بينما يُمثل الإله المقتول، رمزًا لقوى الموت والتجدد.

و لعلّ سائلا يقول، لماذا تموت آلهة الخصب المعروفة بالقوّة وتُبعث مرة أخرى؟ يجيبنا **فراس السواح**، فيقول: " إنّ التجديد الحقيقي للقدرة الإلهية، لا يتم إلاّ بالموت الفعلي الحقيقي الكامل الذي يليه البعث، حيث يزيل الموت ما بلي، ويعطي البعث كل جديد ... فآلهة الخصب هي أكثر الآلهة حاجة إلى تجديد قواها لأن أيّ بادرة ضعف تنتابها سيكون لها تأثير مباشر على توازن الطبيعة وحياة الكائنات. لذا كان على الإله أن يقدّم نفسه للموت وهو في عزّ الشباب، فيجدّد نفسه، ويُبعث ثانية قبل أن تنال منه السنون "[2]. فمصير الآلهة أن تبقى أسيرة تدور بين العالم السفلي والعالم الأرضي، ويُمثّل موتها في مختلف الأساطير رمزًا للتضحية والخلاص. فبموتها، تُقدّم الآلهة نفسها من أجل تجديد قوتها وضمان خصوبة الأرض وازدهار الحياة.

[1] _ ألبيديل، سحر الأساطير، دراسة في الأسطورة التاريخ _ الحياة، ترجمة حسان ميخائيل إسحاق، دار علاء الدين، ط2، سوريا، 2008، ص22.

[2] _ فراس السواح، لغز عشتار، الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، ص 314 .

انطلاقا ممّا سبق يمكن القول أنّ كل هذه الميثولوجيات توحي إلى النماء والخصب الذي يموت في فصل الشتاء و يُبعث في فصل الربيع ، فموت الآلهة (**عشتار، تموز، إنانا، بروسيرينا، أوزوريس** ...) هو اصفرار وموت لكلّ مظاهر الخصوبة في الطبيعة، وبعثها ما هو إلاّ عودة للاخضرار والخصوبة من جديد، إنّها آلهة خصب تجعل الأرض مخصبّة معطاءة لأجل استمرار الحياة.

الفصل الثالث:

صورة الأم في رواية "الأم" لمكسيم غوركي من منظور أساطير الخصب والنماء

الفصل الثالث: صورة الأم في رواية "الأم" لمكسيم غوركي من منظور أساطير الخصب والنماء.

1/_ دراسة فنيّة لرواية الأم لمكسيم غوركي:

1.1_السرد :

تتميّز رواية **الأم لمكسيم غوركي** بتنوّع طرق السّرد، حيث يستخدم الراوي العديد من تقنيات السرد لرواية الأحداث، ممّا يضفي ثراءاً على الرواية ويحافظ على اهتمام القارئ. حيث يفتتح **غوركي** روايته بالسرد المجمل، إذ أنه يوجز خمسين عاما وهي رحلة حياة **ميشال فلاسوف** في ست صفحات تقريبا، منهيا بعد ذلك حياته في مسرح الحياة وفي الرواية، وهو بذلك يمهّد لتطوّر شخصيّته الرئيسية **بيلاجيا نيلوفنا** عبر إزالة أحد العوائق عن طريقها .

ونجد أيضا السرد المفصّل أو المشهد، فقد تعدّدت المشاهد التي يسرد من خلالها الراوي تفاصيل الحدث متوسّعا في ذكر مختلف الجزئيات، ولعلّ ذلك يعود إلى قيمة الحدث في التطور العام للرواية، على عكس السرد المجمل الذي تلخص فيه الأحداث لأنّه لا يهتم بتفاصيلها نظرا لنقص أو انعدام تأثيرها على سير الأحداث، إضافة إلى أنواع أخرى من السرد وهي : السرد المباشر حيث يتحدّث فيه الراوي بضمير الغائب ويقدّم الأحداث من وجهة نظر محايدة، السرد متعدّد الأصوات تُروى فيه الأحداث من وجهة نظر شخصيات مختلفة .

يستخدم أيضا الحوار بشكل كبير لتنمية الشخصيات وكشف أفكارها ومشاعرها، إضافة إلى الوصف الذي يستعمله لخلق صور حيّة في ذهن القارئ ولتوضيح البيئة المحيطة بالشخصيات. يتميّز السرد في رواية الأم بالوضوح حيث يقدّم **غوركي** الأحداث بطريقة سهلة الفهم للقارئ، ويتميّز بسمة أخرى وهي التشويق حيث يبقي القارئ معلّقا بالأحداث حتى النهاية، باستخدام تقنيات مثل التصاعد الدرامي والتشويق والصراع لخلق شعور بالإثارة لدى القارئ .

1.2_الحبكة:

تعد الحبكة من أهم عناصر البناء الفني في رواية الأم، حيث تحرّك الأحداث و تبقي القارئ معلّقا بالأحداث حتى النهاية، وتتكوّن الحبكة من العناصر الأساسية التالية :

أ_ العرض : يقدّم الراوي في بداية الرواية الشخصيات الرئيسية والمكان والزمان، حيث يعرّفنا بعائلة **بيلاجيا** وهي عائلة فقيرة تعيش في مدينة" **سورموفو**" الصناعية في روسيا خلال فترة الثورة الروسية.

ب_التصاعد : تبدأ الأحداث بالتعقّد وتزداد حدّة الصراع، فيزداد صراع **بيلاجيا** مع الظروف المعيشية الصعبة بعد وفاة زوجها وتجبر على العمل في مصنع قاس لتوفير لقمة العيش لعائلتها، بينما يواجه ابنها **بافل** الاضطهاد من قبل السلطات.

ج_ الذروة: تمثّل الذروة الحدث الأكثر أهمية في الرواية، ويعتمد تحديد ذروة الرواية على وجهة نظر القارئ وتفسيره للأحداث، لكن يمكننا اعتبار بعض اللحظات القوية في الرواية كذروة محتملة مثل:

- **دخول بافل للسجن:** سجن بافل اِبن **بيلاجيا** بسبب نضاله ورغبته في تحقيق العدالة حدث مأساوي يمثّل نقطة تحوّل رئيسية في الرواية، يشعل هذا الحدث غضب أمه ويعزّز تصميمها على النضال ضد الظلم.
- **انضمام بيلاجيا للحركة الثورية:** يمثّل نقطة تحوّل أخرى في الرواية، يظهر هذا الحدث تحولّها من امرأة عادية إلى ناشطة ملهمة تكرّس حياتها للنضال من أجل العدالة الاجتماعية.
- **مشاركة بيلاجيا في المظاهرة:** مشاركة الأم في المظاهرة العالمية وتعرّضها للضرب والاعتقال، تمثّل ذروة الصراع بينها و بين النظام القمعي. يظهر هذا الحدث شجاعتها وتصميمها على النضال من أجل حقوق العمّال.
- **خطاب بيلاجيا في السجن :** خطاب **بيلاجيا** المؤثّر في السجن يمثّل ذروة رسالتها الثورية، حيث تلهم كلماتها زملائها السجناء وتُشعل فيهم روح الثورة.

لا توجد ذروة محددّة للرواية، فكل قارئ يرى ذروة مختلفة بناءا على تفاعله مع القصة وتفسيره للأحداث، فالرواية مليئة باللحظات القوية التي تجسّد صراع الأم ضد الظلم والقمع ونضالها من أجل حياة أفضل للجميع.

د_الافتنان : تبدأ حدّة الصراع بالتراجع وتتّجه الأحداث نحو الحل، في رواية الأم تواجه **بيلاجيا** العديد من التحديات بعد انضمامها إلى الحركة الثورية، لكنّها تثابر وتواصل نضالها، تساهم في تنظيم العمال ونشر الوعي الثوري، ممّا يساعد في تحقيق انتصار الثورة.

هـ_الخاتمة : تُحل الأحداث وتُترك مفتوحة للتأويل، تقدّم رواية "الأم" خاتمة مفتوحة للتأويل تحفّز القارئ على التفكير في معاني النضال والتضحية والأمل وجرت فيها العديد من التحولات والتأويلات.

نرى في خاتمة رواية" الأم ":

- **موت بيلاجيا:** تفارق الحياة بعد نضال طويل ضدّ الظلم والقهر، يمثّل موتها نهاية جسديّة لرحلتها لكنّه يلهم أجيالا جديدة من المناضلين.
- **استمرار النضال:** تواصل الشخصيات الأخرى في الرواية النضال من أجل العدالة الاجتماعية باتّباع تعليمات **بيلاجيا**.
- **الأمل في المستقبل:** على الرّغم من مأساوية الأحداث، يشير هذا الأمل إلى إيمان **غوركي** بقدرة البشر على التغيير وخلق عالم أكثر عدلا وإنصافا.

1.3_الزمان و المكان في رواية الأم :

أ_الزمان:

إنّ الزمن هو الهيكل الذي تقوم عليه بنية الرواية، وهو الذي يحدّد طبيعتها وشكلها، وهو يشكّل نسيجا متناسقا، فالكاتب يعتمد عنصر الزمن لتحقيق كيفيّة انتظام الأحداث في قصّته، ولتوفير طابع التشويق الذي كان عامل شدّ لقارئ الرواية الكلاسيكية، ولذلك كان الزمن فيها يمثّل الخط الذي تسير عليه الأحداث وتُرسم على هديه وظائف الشخصيات والعلاقات بين مختلف أطوارها.[1]

تدور أحداث رواية "الأم" في أوائل القرن العشرين، خلال فترة الثروة الروسية، يساعد تحديد الزمان على فهم السياق التاريخي الذي تدور فيه الأحداث وفهم دوافع الشخصيات وأفعالها، شهِدت فترة الثورة الروسية العديد من التغيرات الجذرية في روسيا وكان لهذه التغييرات تأثير كبير على حياة الشخصيات في الرواية.

لاحظنا في هذه الرواية أنّ زمن السرد يتناغم مع زمن الخبر دون أن يصل ذلك إلى حد التطابق الكلي، فقد اعتمد **غوركي** على سرد أحداث متّصلة بالزمن من بدايتها إلى نهايتها، ولم ينقطع هذا الاستمرار إلاّ في حالات نادرة بل هي شديدة النُدرة، إذ أنّه

[1] _منجي بن عمر، الفضاء في رواية الثورة دراسة مقارنة بين الآن...هنا لمنيف والأم لغوركي، الدار التونسية للكتاب، دط، تونس،2015، ص196.

لم يقطع حبل الزمن المتواصل، فقد ظلّ يرصد تطوّر الأحداث من خلال تطوّر شخصية **بيلاجيا**.

ب_المكان:

يُعد المكان عنصرا أساسيا في الرواية، "المكان في الرواية هو الذي يكتب القصة قبل أن يسطّرها المؤلف، هو خديم الدراما فالإشارة إلى المكان تدلّ على أنّه جرى أو سيجري به شيء ما"[1]، حيث يلعب دورا هاما في بناء قصّة الرواية وشخصياتها ويعكس الصراعات المختلفة التي تدور أحداثها حولها، ويتمثّل هذا الصراع في:

- **الصراع بين العمال والإدارة:** يتجلّى بوضوح في مشاهد السجن والنفي حيث يُسجن الثوار ويعذبون من قبل النظام القيصري.
- **الصراع بين الفرد والمجتمع:** يتجلى في رحلة **نيللي** التي تضطر إلى هجر عائلتها وبلدها بحثا عن حياة أفضل.

1_الأماكن المفتوحة في الرواية :

- **شوارع المدينة** : تُعدّ من أهمّ الأماكن المفتوحة حيث تشهد العديد من الأحداث المهمة، مثل المظاهرات والإضرابات، وتساهم في ربط الشخصيات ببعضها وتكوين علاقات اجتماعية.

[1] _صالح ولعة، المكان ودلالته في رواية مدن الملح لعبد الرحمان منيف، عالم الكتب الحديث، ط، الأردن، 2010، ص54.

على سبيل المثال: **نيللي** تشارك في المظاهرات، العمال يتجمعون في الشوارع للمطالبة بحقوقهم وتحسين ظروف عملهم، و**بافل** ينظّم الاحتجاجات.

- **مصنع سورموفو:** يعمل فيه العديد من الشخصيات، حيث يتيح لهم فرصة التفاعل والتواصل، ويعتبر **بافل** عامل فيه و كذلك **ريزا** يراقب العمال.
- **الطبيعة** : تمثّل الطبيعة ملاذا عن قسوة الحياة اليوميّة وتمنح شعورا بالحريّة والحياة، على سبيل المثال: تقضي **نيللي** بعض الوقت في الريف حيث تستمتع بالهدوء وجمال الطبيعة ممّا يساعدها على نسيان معاناتها، و**بافل** يزور الريف مع عائلته.

2_الأماكن المغلقة في الرواية :

- **بيوت العمال** : تعيش عائلة **بافل** في منزل صغير مزدحم، ممّا يضفي شعور بالضيق والقهر، فتمثّل هذه البيوت قسوة حياة الطبقة العاملة .
- **السجون** :تمثّل القمع السياسي الذي يمارسه النظام القيصري على الثوار المعارضين، مثال على ذلك: يُسجن بافل بعد مشاركته في الإضراب ممّا يُظهر قسوة النظام وظلمه.
- **المصحات:** تمثّل المصحات الأمل في الشفاء من الأمراض، لكنّها قد تمثّل أيضا العزلة والوحدة، مثل دخول **نيللي** ابنة **بافل** إلى المصحة للعلاج من السل ممّا يُظهر معاناتها الجسدية والنفسيّة .

1.4_الشخصيات :

أ_الشخصيات الرئيسيّة:

بيلاجيا نيلوفنا: بيلاجيا هي تلك الوالدة التي تحمل من الحنان والعاطفة جزء كبيرة في حياتها وحياة ابنها بافل، كما بقيت شخصيتها متواصلة في كل فصول الرواية، بدأ ذكرها من أوّل فصل حينها كانت تلك المرأة المهزومة من طرف زوجها "فوجدت المرأة الجرأة على الجواب بقولها: وأنت ستسكر بأجورك كلها، على ما أظن"[1]. وكان هذا حال الأم المسكينة التي لا حول لها ولا قوة، دائما ما تتعرض للمهانة من قبل زوجها. "وكيف تستطيع اعالتي إذا أدمنت بنت الكرم؟"[2] في تلك الفترة بعد وفاة السيد ميخائيل فلاسوف ضجر ابنه بافل من تلك المعيشة كاد يتبع طريق والده، "لكن، لا تعتد أنت على الشرب.. شرب أبوك عنه وعنك، وما يزيد أيضا. أفلا يكفي ما لقيت من شقاء على يديه.. أفلا ترحم أمك قليلا؟"[3]

في الفصل الثالث كان جل الحوار بين الأم وابنها وذلك تمركز خوف الأم على ابنها من الضياع والفقدان. كما نجد أنّ الفصل كان فقط حوار الأم مع ابنها مثله مثل الفصل الذي سبقه ولكن في هذا الفصل كان هناك جانب من الحنية من الطرفين عكس الفصل الأول كانت فقط الأم هي من تبادر"كنت أريد أن أسالك عما تقرأ طوال الوقت...اجلسي يا أماه

[1]_مكسيم غوركي، الأم، ترجمة فؤاد أيوب وسهيل أيوب، دار الفارابي، ط2، لبنان، 2007، ص11.
[2]_ المرجع نفسه، ص13.
[3]_ المرجع نفسه، ص14.

... أنا أقرأ كتبا ممنوعة"[1]. هكذا كان الكلام يدور بينهما في إطار هادئ جدا."وماذا تنوي أن تفعل؟"[2]. سعت محاولة كسب ابنها باهتمامها بجل الأمور التي يخوضها تلك الفترة.

بافل: هو ذلك الابن الذي يسعى جاهدا لتحقيق العدالة وتوضيح الصورة الحقيقية للناس وكل المظلومين، كما يركض إلى تحضير للثورة، التي تهدف إلى توضيح صورة العامل ومعاناته وأكثر كانت تشمل الفئة الشبابية "وإنّي عازم على التدخين أيضا.. هاتي غليون أبي "[3]. نجد في الفصل الثالث كان **بافل** منهارا تماما من المعيشة والظلم السائد حوله والذي اعتاد عليه طيلة حياته، كما وجد أمه مظلومة من طرف والده، حيث كان في غالب الأحيان ينعتها بالكلبة وغيرها من الصفات غير اللائقة وهذا ما جعله خشن في تعامله مع والدته في تلك الفترة. "أنا نفسي لا اعرف كيف حدث ذلك في طفولتي كنت أخاف من جميع الناس. وعندما شببت كنت أكرههم جميعا، أبغض البعض لدناءتهم والآخرين دون أن أدرى لماذا، هكذا لمجرد البغض، أمّا الآن فكل شيء يبدو لي غير ما كان عليه. لعل السبب في ذلك أنى أشفق على الناس. لقد رق قلبي نوعا ما عندما تحققت أنّ الناس جميعا ليسوا بمسؤولين عن حقارتهم ودناءتهم."[4] نجد هنا أنّ **بافل** أصبح أقوى من ذي قبل، أصبح متيقن أنّ هناك عدالة قادرة لإنصاف حقه وحق كل ضعيف

[1] _مكسيم غوركي، الأم، ص19.

[2] _المرجع نفسه، ص21.

[3] _ المرجع نفسه، ص13.

[4] _المرجع نفسه، ص24.

أجبرته الدنيا والحكام على أن يكون إنسان ليس لديه أي قيمة بل على العكس بات فقط يحمل لقب الحقير. بعد كل هذا رأينا بافل بدأ بتخطيط هو وأصدقائه من اجل الشروع لتحقيق العدالة.

ب الشخصيات الثانوية: وهي الشخصية التي تأتي مباشرة لمساعدة الشخصية الرئيسية، نجد أنّ الرواية لا تخلو من وجود شخصيات ثانوية، كما أنّ لها أهمية لا يمكن الاستغناء عنها في العمل الروائي.

نيللي زلوموفا: ابنة **بافل**، فتاة شجاعة ومصممّة تصبح ثورية هي الأخرى وتنضمّ إلى النضال ضد النظام.

ريزا: عامل في مصنع سوروموف، يصبح خائنا للعمّال وينضم للإدارة .

نيكولاي: ثوري، يصبح صديقا **لبافل** و**نيللي**، يمثّل رمزا للحكمة والتعقل .

ماريا: زوجة **ريزا**، امرأة طيّبة، تصبح ثوريّة هي الأخرى.

كورشاتوف: ضابط شرطة يلاحق الثوار، يتميّز بالقسوة والوحشيّة.

ساشا: صديق **بافل** و**نيللي**، يتميّز بتفاؤله وحماسه.

أندريه: ثوري، يمثّل رمزا للصداقة .

1.5_ اللغةّ :

يستخدم **غوركي** لغة بسيطة ومباشرة في رواية "الأم" ممّا يجعلها سهلة لفهم القارئ، يتجنّب استخدام التعبيرات المعقّدة أو الغامضة ويركّز على استخدام لغة واضحة وفعّالة .

تتميّز لغة الرواية بالواقعية، حيث تجسّد اللغة والظروف المعيشية الصعبة التي واجهها العمّال في روسيا القيصرية.

تتميّز بالتنوع، حيث يستخدم الراوي أنواعا مختلفة لوصف الأحداث والشخصيات، على سبيل المثال: يستخدم لغة رسمية لوصف الأحداث التاريخية، بينما يستخدم لغة عاميّة لوصف الحوارات بين الشخصيات.

تتميّز لغة الرواية بالقوّة، يستخدم الكاتب كلمات وتعابير تثير مشاعر القارئ وتحفّزه على التفكير في القضايا المطروحة في الرواية.

2/_ أبعاد شخصية الأم في رواية الأم لمكسيم غوركي:

1-2/_أبعاد الشخصية:

الشخصية باعتبارها العنصر الأكثر فعالية في الرواية، يعيرها الكاتب اهتماما لا يعيره لغيرها من العناصر التي يبني بها عمله الأدبي. فتكاد تكون هي بؤرة الحدث ومركز العمل الأدبي، إذ تدور حوله بقية العناصر وتخدمه بما يراه الكاتب مناسبا. لهذا يعمد الكاتب إعطاء شخصياته مظاهر تساعد الشخصية في إتقان وظيفتها إضافة إلى تسخير

باقي عناصر البناء لخدمتها، وهذه المظاهر تتلخص في عدد من الأبعاد كما يقترحها الدارسون، وهي ثلاثة أبعاد:

أ/_البعد الجسمي: "يهتم القاص في هذا البعد برسم شخصيته من حيث طولها، نحافتها وبدانتها، لون بشرتها والملامح الأخرى المميّزة "[1]، فالقاص هنا إذا يعمد إلى وهب الشخصية مظهرا خارجيا بما يتناسب ووظيفتها في النص، فالطول الفارط والكتف العريض للشخصية الشديدة، والجسد الهزيل الواهن لشخصية حكيمة مثلا.

ب/_البعد الاجتماعي: ويقصد به "تصوير الشخصية من حيث مركزها الاجتماعي وثقافتها وميولاتها والوسط الذي تتحرك فيه"[2]، وهو تحديد الأطر الاجتماعية التي تحدد علاقات الشخصيات بعضها ببعض وحتى بعض سلوكياتها النفسية الداخلية .

ج/_البعد النفسي: "يهتم القاص هنا بتصوير الشخصية من حيث مشاعرها، عواطفها، طبائعها، سلوكها ومواقفها خلال أحداث العمل الأدبي"[3]. يخصّص القاص أو الكاتب لشخصيته نزعة نفسية محددة تميزها عن باقي الشخصيات وتتفاعل ضمن إطار هذه النزعة مع مختلف عناصر العمل الأخرى.

---

[1] _ شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د ط، الجزائر،1997، ص35.

[2] _ المرجع نفسه، ص35.

[3] _المرجع نفسه، ص35.

2-2/_أبعاد شخصية الأم في الرواية:

أ/_البعد الاجتماعي لشخصية الأم بيلاجيا نيلوفنا:

بيلاجيا نيلوفنا أم روسية في الأربعين من عمرها، من الطبقة الفقيرة، "لاتبكي! فكّري فقط في نمط الحياة التي نعيش! هذه أنت سلخت من عمرك أربعين عاما، فماذا رأيت خلالها؟"[1]، حيث تتحول إلى أم مناضلة بعد موت زوجها، تكافح وتناضل في سبيل ابنها في أول المطاف، لكن بعد فهمها لطموحاته وأهدافه بدت وكأنها تناضل من أجل الجميع، خاصة العمال الذين عانوا في تلك الفترة من ظلم الطبقة المالكة كوسائل الإنتاج. أم مثالية تحملت وقاست حتى أخرجت ابنها لطور الحياة من تعلم ورعاية وقراءة والخوض في مشاكل الناس ومساعدتهم من بعدها دفعتها إلى تحقيق آماله، كما كانت رمزا لروسيا المنتفضة آنذاك من الإسار القيصري والمندفعة نحو التحول الاشتراكي، كما أنها جسّدت دورا هاما في النضال من اجل نصرة حقوق العمال والموظفين، كما ساهمت في التغيير عندما انتقلت من امرأة مظلومة مهانة معدومة إلى امرأة متعلمة ثم مناضلة مع طبقة الفلاحين ضدّ المفسدين والإقطاعيين من اجل الحصول على حقوقهم ونشر العدالة والمساواة.

[1] _مكسيم غوركي، الأم، ص20.

ب/_البعد النفسي لشخصية الأم بيلاجيا بيلوسوفا:

إنّ حالة الأم مضطربة تتراوح بين الفرح والحزن، الألم والأمل،الخوف والفزع والإنسانية، "أصغت إليه وهزّت رأسها بكآبة، وهي تحسّ شيئا جديدا مجهولا، شيئا مفرحا ومؤلما في وقت واحد"[1]، لكن التغيير الرئيسي فيها هو التغلب على الخوف من الحياة"هذا الخوف هو دمارنا، والذين يقودوننا يستغلون هذا الخوف ويضاعفون في ذعرنا"[2]، عاشت خوفا من المظهر الجديد لابنها المشارِكة في شؤونه، صحيح كانت أمية إلاّ أنها كانت تشعر بالفخر"نظرت إليه ووجهها يطفح فخرا واعتزازا"[3]، فكان توسيع دائرة معارفه يساعدها على فهم الناس وحبهم بشكل أفضل، هذا هو الحب والإحسان هو الذي يدفعها إلى حقيقة أنها لم تعد تخاف من الناس، تصبح أمّا لجميع أصدقائه المقربين والبعيدين، كما كان أحيانا يغتابها الحزن عليه لقوله لها: "عليك ألاّ تحزني، ولكن يجب أن تفرحي، أي متى يارب يكون عندنا أمهات يفرحن في حين يرسلن أبناءهن إلى الموت من اجل الإنسانية"[4]. إلاّ أنها بلا شك البطل الذي يحمل المبدأ الروحي في نفسه حيث، يكِّن أفضل المشاعر الإنسانية قوية القوة، لحبها تحمي من الانغماس والجنون المتعصب كانت تؤمن وتتغنى بالعالم الروحي، هذا ما يسمح لها بالنهوض واكتساب الثقة في نفسها.

[1] _مكسيم غوركي، الأم، ص21.

[2] _المرجع نفسه، ص25.

[3] _المرجع نفسه، ص86.

[4] _ المرجع نفسه، 303.

ج/_البعد الجسمي لشخصية الأم :

يلعب البعد الجسمي لشخصية الأم دورا هاماّ في الرواية، حيث يساهم في تعميق فهمنا لشخصيّتها وتطوّرها على مدار الرواية. يتجلى البعد الجسمي لبيلاجيا في العديد من الجوانب منها :

- **مظهرها الخارجي:** في بداية الرواية توصف بيلاجيا بأنّها امرأة بسيطة، ذات جسد نحيل وضعيف، وتعاني من علامات الشيخوخة "كانت وافية القامة على شيء من الإنحناء إلى الأمام، يتحرّك جسدها الذي حطّمه العمل المرهق وضرب زوجها المستمر...وكانت خيوط من البياض تلمع في شعرها"[1]، لكن مع مرور الوقت يصبح جسدها أقوى وأكثر صلابة، نتيجة عملها الشاق ونضالها في سبيل ابنها. تصبح نظرتها أكثر حدّة، وشكلها أكثر تعبيرا عن مشاعرها وعزيمتها.
- **حركاتها:** في البداية توصف حركاتها بأنها بطيئة ورتيبة تعكس حياتها البسيطة. لكن مع مرور الأحداث تصبح حركاتها أكثر حيوية ونشاطا، تعكس طاقتها ونضالها"مشت منتصبة القامة مرتفعة الصدر، الأمر الذي أغدق على هيئتها مظهر عظمة"[2].
- **صوتها:** في بداية الأحداث يوصف صوت الأم بأنّه هادئ وضعيف يعكس خوفها وعدم ثقتها بنفسها "قالت في هدوء وهي تنظر إليه: أواه أيها المسيح المخلص! أي

[1] _مكسيم غوركي، الأم، ص14.

[2] _ المرجع نفسه، ص63.

تبدّل خطير قد طرأ عليك"[1]، لكن مع مرور الوقت يصبح أقوى وأكثر وضوحا يعكس عزيمتها وثقتها بنفسها.

يساهم البعد الجسمي لشخصية بيلاجيا في تحديد هويّتها ووضعها الاجتماعي، فجسدها البسيط والنحيف يظهر أنّها امرأة من الطبقة العاملة تعاني من مشقة الحياة .لكن قوة جسدها و نشاطه يظهر أنّها امرأة قويّة ومصمّمة، قادرة على مواجهة التحديات.

3/- صورة الأم في رواية "الأم" من خلال أساطير الخصب والنماء:

تشكّل صورة الأم وأساطير الخصب والنماء في رواية "الأم" لمكسيم غوركي إطارا رمزيّا غنيّا، يضفي على الرواية عمقا فلسفيا، ويعبّر عن تطلعات الطبقة العاملة نحو حياة أفضل.

تجسّد هذه الرموز رحلة التضحية والحياة، وتؤكّد على قدرة الإنسان على التغيير والتطور وتحقيق آماله وأحلامه.

سنتطرّق إلى بعض صور الأم في الرواية من خلال منظور أساطير الخصب والنماء.

1_ولادة بافل: يمكن تفسير ولادة "بافل" في رواية "الأم" على أنّها تمثيل رمزي للحياة الجديدة والأمل والدورة الطبيعية للوجود، من خلال أسطورة "إيزيس" التي تعتبر آلهة الأمومة والخصوبة التي تساعد في خلق الحياة الجديدة و تعمل على حمايتها.

[1] _مكسيم غوركي ،الأم، ص24.

- **بداية جديدة:**

_وصول "بافل" يمثّل بداية حياة جديدة، ويرمز إلى ظهور أمل وإمكانيات جديدة، تماما كما جاء في أسطورة "إلبيس" التي تجسّد للأمل في أوقات اليأس والأزمات، فهي تذكّرنا بأنه يمكننا التغلب على جميع التحديات إذا حافظنا على الأمل في قلوبنا.

_فرح "بيلاجيا" يمثّل احتضان الأرض للحياة الجديدة والترحيب بها وتغذيتها، وتعتبر رمزيّة من رمزيات الأسطورة "غايا" إلهة الأرض اليونانيّة البدائيّة، فهي تعتبر الأم الحاضنة التي تحتضن جميع الكائنات الحية، فهي ترمز إلى قوّة الأرض الخصبة ودورها في استمرار الحياة.

- **استمرارية الحياة:**

_ميلاد "بافل" يربطه بنسب أجداده، حيث يمثّل استمراريّة الحياة ونقل المعرفة والقيم.

_دور "بيلاجيا" كأم يرمز إلى دور الأرض باعتبارها مانحة للحياة فهي تدعم وترعى الجيل القادم تماما مثل الآلهة "إيزيس".

- **الخصوبة والوفرة:**

_صور مشهد الولادة غالبا ما تتضمّن رموز الخصوبة والوفرة، مثل الزهور وأشعة الشّمس الدافئة والطبيعة الوفيرة، تماما كما تجسّدت في أسطورة "ديميتير" إلهة الزراعة والحصاد، كانت مسؤولة عن خصوبة الأرض، حيث يعتقد الناس أنّه عندما تكون سعيدة فإنّ الأرض تنتج محاصيل وفيرة.

- **الأمل في المستقبل:**

_" في بعض الأحيان كانت صورة إبنها تتّخذ في عينيها أبعاد أحد أبطال الأساطير، فتوحّد فيها سائر الكلمات الباسلة الشريفة التي رنّت في سمعها دائما"[1]، وجود "بافل" يغرس الأمل بمستقبل أكثر إشراقا، ويرمز إلى النمو والتقدّم.

_حب "بيلاجيا" الذي لا يتزعزع، يمثّل قوّة الأمل الدائمة والإيمان بعالم أفضل.

و يعتبر الأمل رمزا من رمزيات أسطورة الأمل "إلبيس" كما ذكرنا سابقا.

رموز أسطورة الخصوبة في هذا المشهد:

- **القابلة:** ترتبط غالبا بآلهة الخصوبة ودورة الحياة والموت.
- **المهد:** يرمز إلى مساحة الرعاية، حيث تتم حماية الحياة الجديدة والاعتزاز بها.
- **الرضاعة الطبيعية:** تمثّل قوّة الأرض المغذية، وتوفير القوت وتغذية الحياة الجديدة.

فمن خلال دمج أسطورة الخصوبة، يضيف "غوركي" عمقاً ومعنى لولادة "بافل"، ويشير إلى أهميتها كمحفّز للتغيير والوعد بمستقبل أفضل.

2/_"بيلاجيا" المرأة المضحيّة: تُجسّد شخصية بيلاجيا في رواية غوركي "الأم" صورة المرأة المضحية التي تُقدّم كل ما لديها من أجل عائلتها ووطنها، وتعتبر مشهدا غنيّا بالرمزيّة من منظور أساطير الخصب.

[1] _ مكسيم غوركي، الأم، ص343.

- **الأم المضحية:**

-تتعرض "بيلاجيا" للعديد من التضحيات على مدار الرواية بدءا من التعنيف الدائم من طرف زوجها السكير "فلاسوف" وإهانته لها،"أما زوجته فلا يناديها إلاّ الكلبة"[1] فقد كان يُعبّر عن غضبه المكبوت اتجاه أشخاص آخرين من خلال إهانة زوجته.

_تمثّل "بيلاجيا" قيم التضحية من خلال حرصها على عائلتها، حتى لو على حساب راحتها وصحّتها، كما تجسدت التضحية في أسطورة "عشتار" التي عكست قيمة التضحية في المجتمع، باستعداد الإنسان للتضحية بأغلى ما يملك سواء كان ماله أو نفسه.

_تضحيات الأم الدائمة، تشير إلى روح الأمل الدائمة التي تستمر حتّى في الأوقات الصعبة، من خلال أسطورة الأمل "إلبيس"، فهي تعبّر عن إمكانية تغيير الظروف وتحسين حياة العائلة.

- **الأم الداعمة:**

تلعب الأم "بيلاجيا"، دورًا محوريًا في دعم ابنها بافل الثوري في رواية "الأم" لمكسيم غوركي، حيث يظهر دعمها له بعدة أشكال، منها:

-تُظهر بيلاجيا حبًا عميقًا لابنها وتفانيًا تامًا لرفاهيته. على الرغم من معارضتها لآرائه الثورية في البداية، إلاّ أنها تتقبلها في النهاية وتدعمه بكل ما لديها.

[1] -مكسيم غوركي، الأم، ص10.

–تُشجع بيلاجيا بافل على متابعة معتقداته ومبادئه، حتى عندما يواجه صعوبات وتحديات" لفحت غشاوة حارّة عيني الأم، وأحسّت جسدها قويّا فأسرعت بحركة واحدة سريعة تتّخذ مكانها خلف اِبنها"[1].

–كانت "بيلاجيا" تضحي براحتها وسعادتها الشخصية من أجل دعم ابنها وقضيته، فقد كانت تساعده في جمع الأموال ونقل الرسائل بين الثوار من أجل التواصل مع بعضهم البعض، إضافة إلى توزيع المنشورات لدعم القضية الثورية."كانت تحمل المنشورات إلى المعمل بصورة منتظمة، تجد في ذلك واجبا عليها آداؤه."[2]

ساهم توظيف رمزيات أساطير الخصوبة في هذا المشهد في تعميق فهمنا لشخصيّة "بيلاجيا" ودورها في الرواية، ففيه نرى كيف تجسّد قيم الأمومة والحب والتضحية، والتزامها اِتجاه أسرتها ومجتمعها، وأملها الذي لا يتزعزع في مستقبل أفضل.

3/_انضمام "بيلاجيا" للحركة الثوريّة:

يُعدّ مشهد انضمام "بيلاجيا" للحركة الثوريّة مشهدًا هامّا يجسّد التحول الإيجابي الذي يحدث في الحياة الشخصيّة، ووعيها بحقوقها وواجباتها،" عاش حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي، حزبنا أيّها الرفاق، وينبوع أفكارنا!"[3]، يمكن تحليل هذا المشهد من منظور أساطير الخصب والنماء لفهم دلالاته العميقة والرسائل التي يحملها.

[1] –مكسيم غوركي، الأم، ص215.

[2] –المرجع نفسه، ص154.

[3] _المرجع نفسه، ص215.

- تمثّل "بيلاجيا" البذرة التي تُزرع في الأرض، حيث تبدأ رحلة نموّها وتطوّرها، تشير هذه البذرة إلى الأفكار الثوريّة التي تُغرس في ذهن "بيلاجيا" وتبدأ بالتأثير على تفكيرها وسلوكها،" رفع بافل ذراعه فخفت الراية، فاندفعت عشرات الأيدي تمسك الخشب الأبيض الناعم، وكانت يد الأم في عدادها"[1].
- نموّ "بيلاجيا" كشخصية ثوريّة، حيث تصبح أكثر وعيًا بحقوقها وواجباتها وتقرّر الانضمام إلى النضال من أجل حياة أفضل، يشير هذا النمو إلى تطوّر أفكارها وتغيّر نظرتها للعالم من حولها.
- تجسّد "بيلاجيا" في هذا المشهد رمزًا للتطور والتغيّر الذي يحدث في المجتمع، وتشير إلى انضمام أفراد جدد للحركة الثّورية، وتزايد الدعم الشعبي للنضال من أجل التحرر من الظلم والقهر والاستبداد، "لا بدّ لي أن أسير مع العدالة، ولو مرّة واحدة، قبل أن أموت !"[2]، فقد كانت تسعى دائما لتحقيق العدالة.

4/_ زيارة "بافل" في السجن:

يُعد مشهد زيارة "بيلاجيا" لابنها "بافل" في السجن مشهدًا مؤثّرًا،" كانت تجلس ظهرا مقابل بافل في مكتب السجن تراقب وجهه الملتحي بعينين غشاهما ضباب الفكر"[3]، حيث يجسّد قوّة الحب والتضحية، ورابطة الأم بأبنائها.

---

[1] _مكسيم غوركي، الأم، ص215.

[2] _المرجع نفسه، ص211.

[3] _ المرجع نفسه، ص343.

ففي أساطير الخصب، تُمثل "بيلاجيا" رمزًا للإلهة الأم، تجسّد الخصوبة والولادة الجديدة مثل الآلهة "إيزيس"، ويمكن تفسير زيارتها "لبافل" في السجن على عدة مستويات رمزية:

- **اتحاد الآلهة:** يُمثل "بافل" رمزًا للبطل الإلهي، تجسيدًا للقوة والحيوية. زيارة "بيلاجيا" له في السجن تُمثل اتحادًا رمزيًا بين الإلهة الأم والبطل الإلهي، رمزًا للخصوبة والقدرة على خلق حياة جديدة.

تماما كما تجسد في أسطورة "إيزيس" و"أوزوريس" الألهة الأم "إيزيس" والبطل الإلهي "أوزوريس"، موت أوزوريس وعودته إلى الحياة بفضل إيزيس، رمز للتجدد والخصوبة.

- **تجديد الحياة:** قد تُمثل زيارة "بيلاجيا" "لبافل" تجديدًا للحياة،"اِختتمت حديثها، راضية عن نفسها متأثرة بسعادته...وضغط على يدها مودّعا شكرا يا أم!"[1]، تُصبح بيلاجيا مصدرًا للخصوبة والقوة "لبافل"، مما يُمكنه من التغلب على الصعاب والنهوض من جديد.
- **رمز للحب:** قد تُمثل زيارة "بيلاجيا" لابنها رمزًا للحب الإلهي، وهو قوة قوية قادرة على التغلب على أي عقبات. يصبح حب "بيلاجيا" "لبافل" مصدرًا للأمل والقوة له في محنته.

[1]_مكسيم غوركي، الأم، ص345.

- **رمز للأمل:** تُمثل زيارة "بيلاجيا" "لبافل" رمزًا للأمل في ظل اليأس، تُظهر قدرة الإلهة الأم على جلب الأمل والخلاص حتى في أصعب الظروف، تماما كما تحدّثنا عن أسطورة الأمل "إلبيس".
- **تحرير الروح:** قد تُمثل زيارة "بيلاجيا" تحريرًا لروح "بافل" من ظلمة السجن، حيث تُصبح بمثابة منقذة، تجلب النور والخصوبة إلى عالم مظلم .
- **رمز للتضحية:** قد تُمثل زيارة "بيلاجيا" "لبافل" تضحية من جانبها، فهي تُخاطر بسلامتها وراحتها من أجل مساعدة ابنها، "اِجتاحها شعور بهيج بتقارب قلبيهما، وصعد إلى رأسها مثل خمرة قوية فضغطت على يده في سكون"[1]، مما يُظهر عمق حبها وتفانيها له.
- وهذا ما رأيناه في أسطورة "ديميتير" التي تقدّم دروسا في الحب والتضحية، فمن أجل سعادة اِبنتها "بيرسفوني" وافقت على تحمّل ألم الفراق كل عام.

اختبار الإيمان: قد تُمثل زيارة "بيلاجيا" اختبارًا لإيمانها وقوتها، فتُصبح رحلتها إلى السجن وعودتها منه رمزًا لانتصار الإيمان على الشك، والخصوبة على العقم.

[1] _مكسيم غوركي، الأم، ص345.

5/_نفي "بافل":

"ماهو الحكم ؟ النفي. "[1]، يعتبر نفي "بافل" حدثًا مأساويًا في الرواية، ويمكن تفسيره على أنّه تضحية رمزيّة تمثّل الطبيعة الدورية للحياة والموت والبعث وهو موضوع رئيسي في أساطير الخصوبة والنماء.

- **نفي "بافل" كرمز للتضحية:** يمكن تفسير نفي "بافل" كرمز للتضحية النبيلة، فقد نُفي من أجل إيمانه بقضية الثورة وإخلاصه لها، حيث ضحّى بحياته الشخصيّة من أجل تحسين حياة العمّال في البلد.

في أساطير الخصب، غالبًا ما يكون دافع رحلة البطل هو إنقاذ العالم أو تحقيق هدف مقدس. أما في رواية "الأم"، فإن دافع نفي بافل هو رغبته في التحرّر من الظلم والقمع، وتحقيق العدالة الاجتماعية.

- **نفي بافل كرمز للوحدة:**

يمكن أيضًا تفسير نفي "بافل" كرمز للوحدة، فكما تموت الحبوب في الحقل قبل أن تُصبح محصولًا واحدًا، كذلك نُفي "بافل" لتوحيد العمال في نضالهم ضد الظلم.

- **نفي بافل كرمز للبعث:**

يُمثل نفي بافل موتًا رمزيًا لحياته القديمة، حيث يُطرد من عالمه المألوف، ويفقد علاقاته الاجتماعية، ويمكن تفسيره كرمز للبعث والحياة الجديدة، فكما تُبعث النباتات من جديد في

[1] _مكسيم غوركي، الأم، ص462.

الربيع بعد موتها في الشتاء، كذلك يُعتقد أن نفي "بافل" سيُلهم الثوار لمواصلة النضال من أجل التغيير ويُؤدي إلى ثورة جديدة والسعي إلى عالم أفضل.

يُقدم نفي "بافل" في رواية الأم فرصة غنية للتأمل في شخصيّته وفهم قيم التضحية، والنضال، والخلاص،"إنّي أعرف معنى الألم الذي يعتصر القلب عندما يُرسل إلى المنفى إنسان عزيز على القلب جدا. ولكنّ أود أن أسأل هل من الحسن أن يكون للمرء مثل هذا الإبن؟"[1] وهذا ما تطرّقنا إليه سابقا في أسطورة "أوزوريس" إله العالم السفلي الذي يمثّل الموت والبعث والحياة الأبديّة.

6/_وفاة "بيلاجيا":

تشكّل وفاة "بيلاجيا" البطلة الرئيسية في رواية "الأم" مشهدًا دراميّا مؤثّرا يضفي على الرواية عمقًا إنسانيّا، "وأمسك بها أحد الدركيين من عنقها وراح يخنقها فشخرت. وكانت المناشير تملأ الفضاء ويلتقطها الحشد الكبير لمعرفة الحقيقة التي من أجلها قُتلت الأم"[2] ويمكن تحليل هذا المشهد من خلال أساطير الخصوبة والنماء لفهم دلالاته والرسائل التي يحملها.

- **دورة الحياة والموت:**

_طوال الرواية تجسّد "بيلاجيا" الجوانب الواهية للحياة والتربية للأرض الأم، حيث توفّر الرعاية والقوت لعائلتها.

[1] _مكسيم غوركي، الأم، ص472.

[2] _المرجع نفسه، الغلاف الخلفي للرواية.

–يمثّل موتها نهاية وجودها الجسدي، ولكن ليس نهاية تأثيرها فإرثها لا يزال حيًّا في قلوب أولئك الذين لمستهم.

_يمكن اِعتبار موت "بيلاجيا" بمثابة وعد للتجديد، أي أنّه خطوة ضروريّة في دورة الحياة ممّا يمهّد الطريق لنمو جديد، تماما كما تستعدّ الأرض لحياة جديدة بعد الشتاء.

من خلال أسطورة "بيرسيفوني" ابنة إلهة الحصاد "ديميتر"، التي تمثل الدورة الطبيعية للوجود، حيث تقضي ستة أشهر في العالم السفلي مع "هاديس" وستة أشهر على الأرض مع والدتها.

- **الموت كحصاد:**

_يمثل موت "بيلاجيا" رمزًا للبذرة التي تزرع في الأرض، حيث تجسّد أفكارها ونضالها من من أجل تحقيق حياة أفضل للطبقة العاملة.

_تشير وفاتها إلى حصاد البذرة، حيث تمثّل نهاية حياتها ثمرة أفكارها ونضالها.

_يجسّد موت "بيلاجيا" الموت الطبيعي للنبتة التي تكمّل دورة حياتها، حيث تمثّل وفاتها نهاية دورها في رعاية أطفالها ونضالها من أجل الثورة.

ففي أساطير الخصب، لا يُمثل الموت نهاية دراماتيكية، بل مرحلة انتقالية في دورة الحياة والموت الأبدية، حيث يُعتقد أن الموت ضروري لإفساح المجال للولادة الجديدة والنمو، تمامًا كما تموت البذرة في الأرض قبل أن تنبت شجرة مثمرة.

و في الأخير نرى أنّ رواية "الأم" لمكسيم غوركي تُظهر الترابط العميق بين صورة الأم وأساطير الخصب والنماء، حيث تشبه "بيلاجيا" الأرض التي تنبت الحياة وتساعدها على النمو والتطوّر.

تشير هذه المقارنة إلى إيمان "مكسيم غوركي" بقدرة الأم على إنجاب أطفال يتمتعون بالقوّة والنشاط، وتحقيق آمالهم وأحلامهم .

خاتمة

خاتمة:

تُعدّ الأساطير واحدة من أهم الظواهر الفنّية التي وظّفها الروائي الروسي في أعماله الأدبيّة الروائيّة الحديثة، هذا ما رأينا أنّه تجسّد في رواية "الأم لمكسيم غوركي" الذي وظّف أساطير الخصب والنماء وجعلها كوسيلة لإيصال نظرته ورؤيته للمتلقي. وبناءًا على هذه الدراسة توصّلنا إلى مجموعة من النتائج نوجزها فيما يلي:

- تُعد الرواية الروسية جزءًا هامّا من تاريخ الرواية العالمية، فرغم قِدم نشأتها إلا أنّها مازالت تعبّر عن جوهر الإنسان.
- الأسطورة نشاط فكري مارسه الإنسان منذ القدم، فقد كانت وسيلة للإجابة عمّا يدور في ذهنه من تساؤلات.
- جمع الأدباء الروس الأساطير بأعمالهم الروائية وجعلوا منها وسيلة للتعبير عن مختلف قضايا المجتمع.
- تشكّل أساطير الخصب والنماء في رواية الأم لمكسيم غوركي إطارا رمزيا غنيّا أضفى عليها جمالية فنّية ساحرة.
- أراد الروائي أن يوضّح لنا صورة الأم في رواية "الأم لمكسيم غوركي" من منظور أساطير الخصب والنماء.
- وجد "غوركي" في الأساطير المكان الخصب الذي يعبّر فيه عن أفكاره ومشاعره، جاعلا منه مرآة تعكس ملامح الحياة الشعبيّة في روسيا.

- تؤكّد توظيفات أساطير الخصب والنماء المتنوعة في رواية "الأم لمكسيم غوركي" على قدرتها في إثراء السرد وتعميق المعنى وتقديم رؤية رمزيّة للواقع.
- تُعدّ أساطير الخصب والنماء من أقدم الأساطير وأكثرها انتشارا حيث تعكس رغبة الإنسان في تحقيق الوفرة والازدهار في حياته وإثارة مشاعر الأمل والتفاؤل بمستقبل أفضل.
- تؤكّد أساطير الخصب والنماء على أهميّة التوازن بين الإنسان والطبيعة، وعلى ضرورة احترام البيئة والحفاظ عليها، كما تساعدنا في فهم دورة الحياة والموت، وتضفي للحياة معنى وهدفًا.
- تلعب الأمومة دورًا مركزيًا في العديد من أساطير الخصب، حيث تُمثّل الأم الإلهة التي تُجسّد قوة الحياة، والخصوبة، والرعاية.

وفي الأخير نرى أنّ أساطير الخصب والنماء تمثّل عنصرًا فعّالا في الثقافة الإنسانية، حيث تُقدم لنا نظرة شاملة حول المعتقدات والقيم التاريخية التي يمرّ بها الإنسان عبر مختلف العصور.

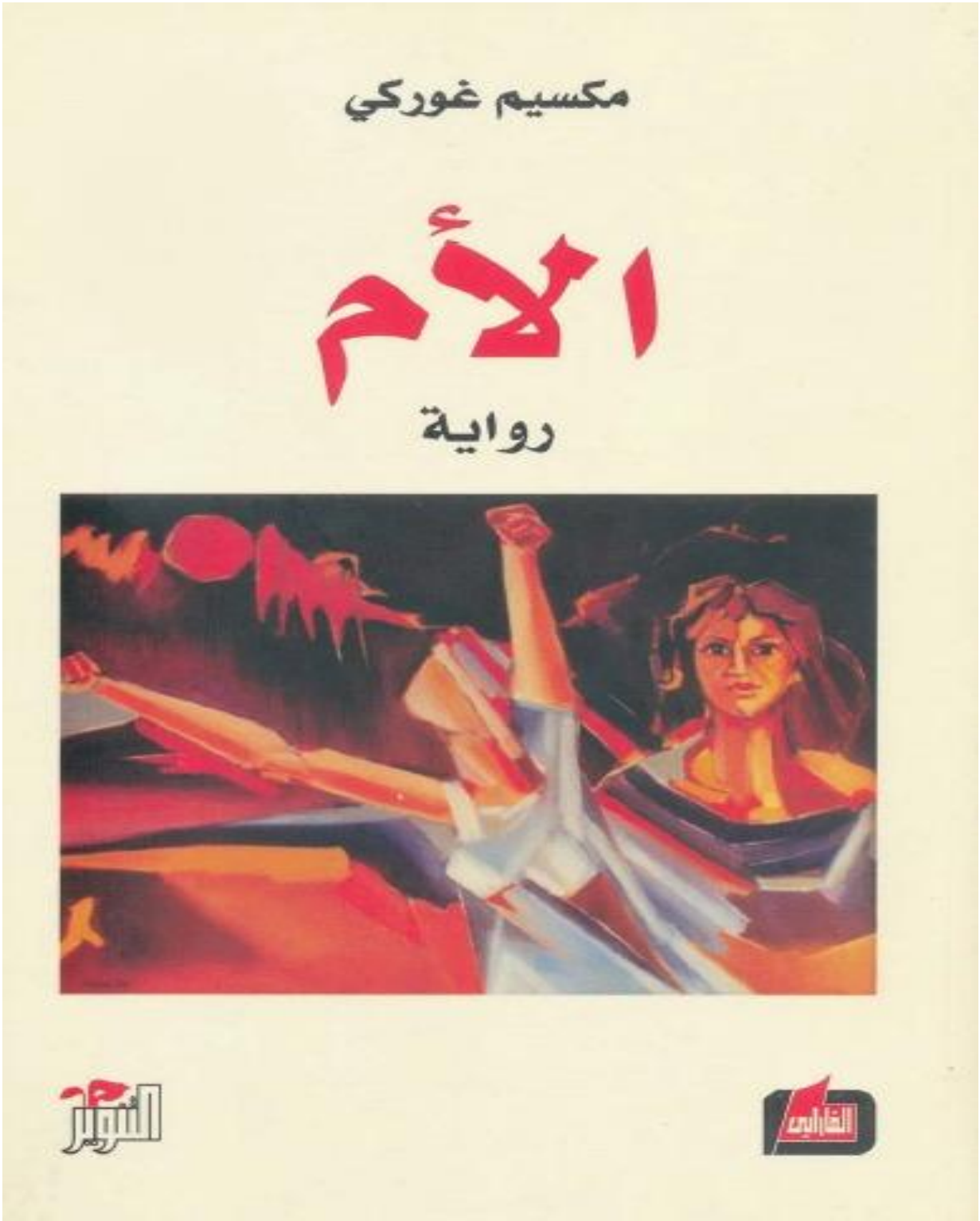
ملاحق

ملاحق:

1/_صاحب الرواية:



2/_غلاف الرواية:



3/-نبذة عن حياة مكسيم غوركي:

نشأته:

- ولد "مكسيم غوركي"، واسمه الحقيقي "أليكسي مكسيموفيتش بيشكوف"، في 28 مارس 1868م في مدينة نيجني نوفغورود بروسيا.
- عانى من طفولة قاسية، حيث فقد والداه وهو صغير، وعاش مع جدته التي روت له القصص الشعبية، مما أثر على أسلوبه الأدبي لاحقًا.
- تنقّل في العديد من المهن، مثل العمل في متجر، والمخبز، والملاحة، مما أكسبه تجارب غنية عن الحياة ساعدته في كتابة أعماله الأدبية.

مسيرته الأدبية:

- بدأ "غوركي" الكتابة في عام 1892، ونشر أول قصة قصيرة له بعنوان "ماكيم".
- 0لفتت أعماله الأولى، مثل "تشيلكاش" و "مالفا"، الأنظار بأسلوبها الواقعي وتصويرها لحياة الطبقات الفقيرة في روسيا.
- أُشتهر "غوركي" برواياته التي تناولت قضايا اجتماعية وسياسية هامة، مثل "الأم" و"فوما جورديف" و"الأمهات".
- أسّس مدرسة الواقعية الاشتراكية في الأدب، والتي تُجسّد النظرة الماركسية للأدب.[1]

[1]_تمام طعمة، نبذة عن مكسيم غوركي، 25- 07-2020، تمّ لِإطلاع عليه في 20-05-2024، نبذة_عن_مكسيم_غوركي/https://sotor.com.

- تُرجمت أعماله إلى العديد من اللغات، وحظيت بشهرة عالمية واسعة.

نشاطه السياسي:

- كان "غوركي" من أشدّ المناصرين للثورة البلشفية، ودعمها بقلمه وكتاباته.

عارض "غوركي" سياسة ستالين القمعية، وغادر روسيا عام 1921م، وعاش في المنفى في إيطاليا لعدة سنوات.

- عاد "غوركي" إلى روسيا عام 1928م بدعوة من ستالين، لكنّه ظلّ ينتقد بعض سياسات الحكومة السوفيتية.

وفاته:

توفي "مكسيم غوركي" في 18 يونيو 1936م في موسكو، عن عمر يناهز ثمانية وستّين عامًا.

- أثار موته شكوكًا حول ما إذا كان قد مات مسمومًا، لكن لم يتم إثبات ذلك.

إرثه:

- يُعتبر "مكسيم غوركي" من أهمّ رواد الأدب الروسي في القرنين التاسع عشر والعشرين.
- ترك إرثًا أدبيًا ضخمًا أثّر في أجيال من الكتاب الروس والعالميين.
- ساهمت أفكاره الثورية في تحفيز الحركات الاشتراكية في مختلف أنحاء العالم.[1]

[1] _تمام طعمة، نبذة عن مكسيم غوركي، المرجع نفسه.

4/ ملخّص رواية "الأم"لمكسيم غوركي:

"مكسيم غوركي" مؤسس مدرسة الواقعية الاشتراكية، وفي رائعته" الأم"، كان قد أثبت اكتماله الأدبي للجميع، بعد أن أتحفهم بصعوده درجات السلم في مسرحية" الحضيض" أو إبداعه في ثلاثية سيرته الذاتية: طفولتي، بين الناس، جامعاتي. فهذه الرواية الواقعية العميقة بفكرها ومضمونها شكلت نموذجًا للنضال الثوري وواقع العمال التعيس الذي قد عانى منه "غوركي" في الدرجة الأولى، والذي قد صوّره في معاناة أبناء شعبه إبان الحكم القيصري في روسيا؛ حيث ترتكز محاور هذه الرواية على فكرة الثورة التي خرجت من رحم المعاناة الطبقية، والظلم الذي كان يعيشه أفراد طبقة العمال من المتسلطين، بكون الفكرة الاشتراكية للكاتب هي طريق النجاة المعتمد والذي سيّر أبطال روايته على منوالها؛ فيؤمن "غوركي" كما غيره من الاشتراكيين في ذلك الوقت بضرورة الوعي كبداية للنجاة من الطبقية.

تبدأ الرواية بانطلاق صافرات بدء العمل في المصنع، والتي يتهافت بعدها ضجيج العمال الناقمون على ذل الفقر والظلم الذي يعيشونه، وعلى حياتهم التي يستغرقونها بالعمل، ثم يقضون ما تبقى من يومهم بالسكر والسهر ليفرغوا كبت الشقاء، فإذا ما فرغوا غرقوا في نوم مجهد تيقظهم بعده صافرات المصنع مجددًا. تنقضي أيّامهم بطريقة ميكانيكية تكاد

تخلو من المشاعر الإنسانية كاللين والحب، بل تغطيها خشونة قاسية نابعة من طبيعة عملهم الصلبة.[1]

ثمّ ها هي تأتي على ذكر "ميخائيل فلاسوف"، الرجل السكير الذي يقضي يومه بالشتائم البذيئة والصراخ المنتهي بقوله" يا ابناء الكلبة!"، ولا يكاد ينقضي يومه دون أن يوسع زوجته"بيلاجيا" بطلة الرواية أو " الأم" ضربًا مبرحًا لا تقوى معه إلا على الصمت البكاء، حتى أنه حين كان على فراش الموت كان يتوعدها بقوله: "إن شفيت لن تزداد حالكِ إلا سوءًا!"

"بيلاجيا" هذه، كانت مثالًا للمرأة الأمية الكادحة في المنزل، والتي لا تعرف إلا أن تصبر على كل ما تلقاه من ألم، وهذا ما جعلها لم تشعر بيلاجيا بالحزن على زوجها بعد وفاته أبدًا، فجميع ما عاشته من ضرب وحياة كئيبة أفضت معها كل مشاعرها، باستثناء مشاعر "الأمومة" التي خطّت بها بيلاجيا بطولتها في الأحداث تاليًا. أما "بافل فلاسوف" فهو ابن "ميخائيل فلاسوف"، وقد سار على نهج والده بفظاظته وسكره وعربدته وأسلوبه اللامبالي، الذي طالت الأم منه نصيبًا.

لكنّه وفي لحظة أخذ مسارًا آخر حينما بدأ يقرأ كتبًا ممنوعة تدعو للنضال والثورة والتخلص من الظلم..، ومن هنا كانت البداية، في الموضع الذي يُفقد منه الأمل، من

[1] _سهى الدهامشة، الأمومة والثورة في رائعة غوركي "الأم"، 08-10-2018، تم الاطلاع عليه في 15-05-2024،
https://www.aljazeera.net/blogs/2018/10/8/الأمومة-والثورة-في-رائعة-غوركي-الأم/

قلب المعاناة النفسية جاءت ثورة على كل المفاهيم السائدة.. وجاء دور الأم في احتضان ابنها وفكرته ورغبته النضالية، واحتضان أصحابه بالرغم من كونها لا تفهم كثيرًا مما يقولون وما يدعون إليه.

ويمكنني كقارئة أن أذكر لكم ما قد لفتني في الرواية من أفكار:

1/_ الظلم والكبت والفقر الجماعي قد يؤدي إلى نتيجتين: إما طريق الضلال والضياع والمتاهة كما صورها "غوركي" في أبناء العمال الذين يقضون يومهم بالشرب دون أن يستطيع الأهل تغيير أي شيء من ذلك: "كانوا يشتمون أبنائهم ويضربونهم بقسوة، لكن سكر الفتيان وعربدتهم كانا مقبولين كأمر لا مفر منه أو مهرب"، وإما أن يأخذ الأمر طريقًا آخر، يسأل فيه الأفراد عن ماهية وجودهم وحقوقهم فيتحدون لتغيير واقعهم لاشتراكهم في همٍّ واحد، كما جاء في هتافاتهم: "يا عمّال العالم اتحدوا!"

2/_ شرارة التغيير تبدأ غالبًا من الشباب، وفي أي زمن، لذلك فإن مروجي الأفكار الجيدة والسيئة على حدٍ سواء يستثمرون في الفئة الشابة، وغالبًا ما يكون استثمارًا سهلاً، لكون هذه الفئة أكثر حماسًا وقابلية للتغيير.

3/_ الكتب تمثل أسلوبًا ثوريًا لا يمكن زعزعته، فنقطة الوعي والإدراك الأول جاءت في نظر غوركي بالقراءة، فخطوة بافل الأولى بدأت من قراءة الكتب الداعية للتغيير، وقد كانت كتبًا ممنوعة كما هي دومًا في الأنظمة الديكتاتورية.[1]

[1] _سهى الدهامشة، الأمومة والثورة في رائعة غوركي، المرجع نفسه.

4/- الأم ليست بحاجة تبريرات ولا عقلٍ واعي لكي تحب؛ فعاطفة الأمومة فاقت كل تفسيرات العلاقات وتوازنها، هذه العلاقة الفريدة التي جعلت الأم "بيلاجيا" تدافع عن ابنها وتسانده وتخاطر بحياتها لأجل النهوض بفكرته التي قد لا تفهمها جيدًا، وهذه العاطفة بذاتها التي مكنتها من احتضان أصحابه كأنهم أبناؤها لم تكن يومًا عاطفة مبتذلة ولا علاقة أخذٍ وعطاء.

إنّ هذه الأم التي عانت قسوة معاملة زوجها الجسدية واللفظية والتي رفض زوجها إعالتها كما جاء: "لا تسأليني مالًا بعد اليوم، "بافل" يقوم من الآن فصاعداً.. "، والتي عاشت فقرًا مُرًّا، والتي مع ذلك آمنت بابنها ورأت فيه بطلًا انتشلها من كونها آلة عليلة، وتلك الأم التي أحبَّت الأبطال كأبنائها وضمّتهم بعطفها، والتي تقودها الخيلاء كلما لمعت في بالها كلمات ابنها:" إنّ كلمات ابني هي كلمات شريفة لعامل لم يبع نفسه، لسوف تعرفونها من جرأتها!"، هي بحد ذاتها الوطن كلّه والثورة الوطنية التي قصد بها "غوركي" اشتراكيته والتي كان موفّقًا في تصويرها بهذا النمط. ولعلّ أشمل المقولات التي ضمّنها "غوركي" على لسانها كانت: "ذلك أشبه بإله جديد، يولّد للشعب! كلّ شيء للجميع والجميع من أجل كل شيء! هكذا أنا أفهم عملكم جميعًا! في الحقيقة إنّكم جميعًا رفاق، أرواح متقاربة، أبناء أم واحدة، وهذه الأم هي الحقيقية![1]

[1] _سهى الدهامشة، الأمومة والثورة في رائعة غوركي، المرجع نفسه.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش.

المصادر:

1. مكسيم غوركي، الأم، ترجمة فؤاد أيوب وسهيل أيوب، دار الفارابي، ط2، لبنان، 2007.

المراجع:

1. اعتدال عثمان، إضاءة النّص، دار الحداثة، ط1، بيروت، 1988.
2. ألكسندر بوشكين، المؤلفات الكاملة، الجزء 02، 1149.
3. أمين سلامة، الأساطير اليونانية والرومانية، دار الثقافة العربية، دط، الأردن، 1988.
4. حياة شرارة، محمد يونس، مدخل إلى الأدب الروسي في القرن التاسع عشر، دار المدى، دط ، العراق.
5. رأفت عبد الحميد، الفكر المصري في العصر المسيحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، مصر، 2011.
6. سيد القمني، الأسطورة و التراث، مؤسسة هنداوي للكتب، دط، مصر، 2020.
7. شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د ط، الجزائر،1997، ص35..

8. صالح ولعة، المكان ودلالته في رواية مدن الملح لعبد الرحمان منيف، عالم الكتب الحديث، ط، الأردن، 2010.

9. الطبري، جامع البيان، ضبط و تعليق محمود شاكر الحرستاني، دار إحياء التراث، ط1، مج 24، بيروت،2001.

10. عبد الحميد بورايو، أشكال التعبير القصصي الجزائري بين العتاقة و المعاصرة، ملتقى الخطاب النقدي العربي المعاصر و قضاياه و اتجاهاته، دار الهدى، دط، الجزائر، 2004/03/22.

11. عبد الحميد يونس، معجم الفولكلور مع مسرد إنجليزي _عربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب دط، 2009.

12. فراس السواح، الأسطورة و المعنى دراسات في الميثيولوجيا و الديانات المشرقية، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، ط2 ، سوريا، 2001.

13. فراس السواح، لغز عشتار، الألوهة المؤنثة و أصل الدين و الأسطورة، دار علاء الدين، ط7، دمشق، 2000 .

14. فراس السواح، مغامرة العقل الأولى دراسة في الأسطورة، دار الكلمة للنشر، ط2، بيروت، 1981 .

15. محمد الأمين بحري، الأسطوري التأسيس والتجنيس والنقد، منشورات ضفاف، ط1، بيروت، 2018.

16. محمد عبد الرّحمان يونس، الأسطورة مصادرها وبعض المظاهر السلبية في توظيفها، دار الألمعية، ط1، الجزائر، 2014.

17. محمد لطفي اليوسفي، في بنية الشعر العربي المعاصر، دار سراس للنّشر، ط1، تونس، 1985.

18. محمود مفلح البكر، الروح الأخضر، احتفالات الخصب في العادة والمعتقد، دار الحضارة الجديدة، ط1، لبنان، 1992.

19. مكارم الغمري، الرواية الروسية في القرن التاسع عشر، عالم المعرفة، دط، الكويت، 1981.

20. منجي بن عمر، الفضاء في رواية الثورة دراسة مقارنة بين الآن...هنا لمنيف والأم لغوركي، الدار التونسية للكتاب، دط، تونس،2015.

21. منيرة مصباح، حوارات وإشراقات في نصف قرن من السياسة والفكر والأدب والفن، دار الفضيلة، ط1، مصر، 2004.

22. مؤلف جماعي، سلسلة عندما نطق السراة، توثيق حضاري، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، ط1، مملكة البحرين، 2005.

23. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة، ط1، القاهرة، دت.

المراجع المترجمة:

2. ألبيديل، سحر الأساطير، دراسة في الأسطورة التاريخ _ الحياة، ترجمة حسان ميخائيل إسحاق، دار علاء الدين، ط2، سوريا، 2008.

3. ألبيريس، تاريخ الرواية الحديثة، ترجمة جورج سالم، دار عويدات، ط2، بيروت، 1982.

4. أوفيد، مسخ الكائنات –Métamorphoses_، ترجمة ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، مصر، 1997.

5. سيرجيمس فريز: أدونيس أو تموز، دراسة في الأساطير والأديان الشرقية القديمة، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، ط3، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، لبنان ، 1982.

6. مارسيل أهرار، تاريخ الأدب الروسي، دم، دار عويدات، دط، بيروت، 1957.

7. مارك سلونيم، مجمل تاريخ الأدب الروسي، ترجمة صفوت عزيز جرجس، القاهرة، 1967.

المجلات:

1. حسين محمود التلاوي، روسيا من الداخل: الأدب الروسي نظرة عامة، مجلة الحوار المتمدّن، العدد7695، البحرين، أوت 2023، https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=801239.

2. شهيرة بو خنوف، أساطير الخصب في بعض للثقافات، مجلة تمثلات، العدد03، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، أفريل،2017.

3. مصطفى أوشاطر، الأسطورة وإشكالية تصنيفها في الدراسات الحديثة، مجلة بحوث سيميائية، مركز البحث العلمي أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2009/05/06.

المعاجم:

1. ابن منظور، لسان العرب المحيط، دار لسان العرب، طبعة جياط، ج2، بيروت، دت.

2. محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار مكتبة الحياة، م3، بيروت، دت.

الموسوعات:

1. عبد الخليل هيلات، الموسوعة الأدبية العالمية، دار الكتاب الثقافي، ط1، العراق، 2018.

2. الموسوعة العربية العلمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، 1996.

المواقع الإلكترونيّة:

1. ألاء الفارس، الأدب الروسي المفهوم والتاريخ والخصائص وأشهر الأدباء، 18-08-2022، تمّ الإطلاع عليه في 17-03-2024، https://mashrabya.com/type/blog/109.

2. تمام طعمة، نبذة عن مكسيم غوركي، 25- 07-2020، تمّ لِإطلاع عليه في 20-05-2024، نبذة_عن_مكسيم_غوركي/https://sotor.com.

3. سماح عادل، الرواية الروسية ازدهرت في القرن التاسع عشر و صوّرت الشعب، 24 /2018/01، تم الاطلاع عليه في 2024/04/17، https://kitabat.com/cultural .

4. سهى الدهامشة، الأمومة والثورة في رائعة غوركي "الأم"، 08-10-2018، تم الاطلاع عليه في 15-05-2024، https://www.aljazeera.net/blogs/2018/10/8/.

5. عماد الدين موسى، ماذا نعرف عن الأدب الروسي الحديث ؟، 2018/05/09، تم الاطلاع عليه في 2024/04/15، https://diffah.alaraby.co.uk/diffah/secondbank/2018/5/8.

الفهرس

الفهرس

مقدمة: ..... أ

الفصل الأول : الرواية الروسيّة في العصر الحديث 7

1/_نشأة الرواية الروسية : 7

2/_ تطوّر الرواية الروسية في العصر الحديث : 14

3/_خصائص و مميزات الرواية الروسية: 20

الفصل الثاني: الأساطير في الفكر الحديث. 24

1-/_مفهوم الأساطير: 24

أ/_لغة: 24

ب/_اصطلاحا: 27

2/_خصائص الأسطورة : 32

3/_أساطير الخصب في بعض الثقافات: 36

الفصل الثالث: صورة الأم في رواية "الأم" لمكسيم غوركي من منظور أساطير الخصب والنماء. 46

1/_ دراسة فنيّة لرواية الأم لمكسيم غوركي: 46

2/_ أبعاد شخصية الأم في رواية الأم لمكسيم غوركي: 56

1-2/_أبعاد الشخصية: 56

2-2/_أبعاد شخصية الأم في الرواية: 58

3/- صورة الأم في رواية "الأم" من خلال أساطير الخصب والنماء:..... 61

خاتمة: 74

ملاحق: 77

1/_صاحب الرواية: 77

2/_غلاف الرواية: 77

2/_غلاف الرواية: 78

3/-نبذة عن حياة مكسيم غوركي: 79

4/_ملخّص رواية "الأم"لمكسيم غوركي: 81

قائمة المصادر والمراجع:.....86

الفهرس 93

ملخّص الدراسة:

تبرز الأساطير كأحد أهمّ الأدوات الفنّية التي حرص الروائي الروسي "**مكسيم غوركي**" على توظيفها في أعماله الروائية الحديثة، ونجد ذلك جليًّا في رواية "**الأم**". فقد وظّف أساطير الخصب والنماء كوسيلة فعّالة لإيصال رسالته ورؤيته للمتلقي، مُضفياً على الرواية أبعادًا رمزية عميقة. يهدف هذا البحث إلى دراسة **(صورة الأم وأساطير الخصب والنماء في رواية "الأم" لمكسيم غوركي)**، فصورة الأم ترتبط ارتباطًا وثيقًا بأساطير الخصب والنماء في العديد من الثقافات حول العالم.

واِعتمدنا في دراستنا المنهج **الأنثربولوجي** الذي يقوم بربط الأساطير بحياة الإنسان ويعمل على دراسة العلاقة بينهما، بالإضافة إلى المنهج الثقافي الذي يُركّز على فهم الأساطير بِاعتبارها جزءا لا يتجزّأ من الثقافة التي أنتجتها، كما أنّه يتم دراسة الأساطير من خلال السياق التاريخي والاِجتماعي الذي نشأت فيه.

الكلمات المفتاحية: الصورة، الرواية الروسيّة، أساطير الخصب والنماء، رواية الأم، مكسيم غوركي.

Study summary :

Myths stand out as one of the most important artistic tools that the Russian novelist **Maxim Gorky** was keen to employ in his modern novels, and we find this clearly in the novel "**Mother.**" He used the myths of fertility and growth as an effective means of conveying his message and vision to the recipient, adding deep symbolic dimensions to the novel. This research aims to study (**the image of the mother and the myths of fertility and growth in the novel "The Mother" by Maxim Gorky**), as the image of the mother is closely linked to the myths of fertility and growth in many cultures around the world.

In our study, we adopted the **anthropological** approach, which links myths to human life and works to study the relationship between them, in addition to the cultural approach, which focuses on understanding myths as an integral part of **the culture** that produced them. Myths are also studied through the **historical** and **social** context in which they arose.

Keywords: the image, the Russian novel, myths of fertility and growth, the novel The Mother, Maxim Gorky.